مذابح المسلمين في بورما .. والصمت المخزي

التوحيد

مجلة إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٤٩٠ السنة الحادية والأربعون شوال ١٤٣٣هـ

الثمن جنيهان



حكم البيع بالتقسيط

ضوابط التعامل مع أخطاء البشر



حقوق الراعي والرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الحادية والأربعون
العدد ٤٩٠
شوال ١٤٣٣هـ



التحرير

٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت:٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف :٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

السلام عليكم

شريعة الضباع !!

شيءٌ عجيب؛ وغاية في العجب أن يكون حب الدنيا، واتباع الهوى وحظوظ النفس بهذا الطغيان المدمر، الذي جعل كثيرًا من الناس يعترضون على كل شيء، وعلى أي شيء!!

وشعار الواحد منهم أنه: ما دمت أعترض فانا موجود ومعدود ولو كنت صاحب ظلم وجحود!!

حتى صار الكثيرون لا يعجبهم أمر ولو كان حقًّا، ولا يرضيهم شخص ولو امتلأ صلاحًا وصدقًا!! ونخشى أن يكونوا كمن لم يعجبهم الأنبياء والمرسلون، فقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق!! أو كمن قُرِّب إليهم الطعام فقالوا: لن نصبر على طعام واحد!!

فإذا وُلِّي عليهم رجلٌ منهم نابذوه العداء، وتمنوا له الإخفاق وبادروه بالإيذاء!!

إن ضحك قالوا: قليل الأدب، وإن عبس قالوا: سريع الغضب، وإن سكت قالوا: كليل اللسان، وإن نطق قالوا: يحب العَجَب.

التحرير

في هذا العدد



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الامارات ٦ درهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد. على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون
٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠)

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الالكترونى التالي:

q.tawheed@yahoo.com

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية   مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



افتتاحية العدد

حقوق الراعي والرعية

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فقد عاشت مصر قرابة سنة ونصف في أحداث كبيرة، شهدت سقوط النظام الحاكم، وإجراء انتخابات متعددة، أتت بمجلس الشعب والشورى والرئيس الحاكم، وكنت خلال هذه الفترة أرقب هذه الأحداث وأشاهد التطورات، وقد منَّ الله عليَّ بكتابة مقالات على صفحات مجلة التوحيد المباركة، شاركت من خلالها في تقديم رؤى تصحح ما يكون من خطأ، وتساهم في إرساء دعائم الحق، ومن ذلك ما كتبته في مقالين عن وجوب المحافظة على الثوابت، وذلك بسبب هجوم البعض على دعوة أنصار السنة بسبب تركيزها على دعوة الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة وحده دون سواه. وقد غاب عن هؤلاء، أو تجاهلوا أن هذا هو أصل الأصول في الدين، وأنه أساس دعوة الأنبياء والمرسلين.

ولما شاهدت غلوًا من البعض في طرح بعض القضايا، والانصراف إلى الدفاع عن الحزبيات وغيرها على حساب دعوة الحق، وجَّهت دعوة لعلماء الأمة بضرورة لزوم السنة والسير على منهاج النبوة، كما قدمت رؤية شرعية للخروج من الأزمة التي تمر بها البلاد، ولم أنس في هذه المرحلة أن أوجه رسالة للرئيس قبل أن أعرف مَن هو، لتكون رسالة موجهة لشخص أعرف ملامحه، وقد وقع اختيار الشعب بالأغلبية على الدكتور محمد مرسي ليكون رئيسًا للبلاد، فمرحبًا به، ونسأل الله له العون والتوفيق والسداد، والله يؤتي ملكه من يشاء، وقد جالسته قبل الرئاسة وبعدها مع بعض إخواني في مجلس شورى العلماء، واستمع إلينا واستمعنا منه، ولمست فيه الرغبة في خدمة دينه ووطنه، وتطبيق شرع ربه ما استطاع، ورفع قدر هذه الأمة والمحافظة عليها، مع إرساء دعائم الحق والعدل مع الجميع دون تفرقة بين الناس، وقد عاهد الله أمامنا على ذلك.

وأود أن أقول له في بداية هذه الكلمة: اعلم أن الولاية النافعة هي لمن اتخذها دينًا يتقرب بها إلى الله، ويفعل فيها الواجب الشرعي قدر الإمكان، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...».

حقوق واجبة على الرعية للحاكم:

ومن باب النصيحة الواجبة على كل مسلم لأخيه أذكر هنا حقوق الراعي والرعية ليعرف كل واحد ما له وما عليه، وقد ذكر ابن جماعة رحمه الله عشرة حقوق واجبة على الرعية للحاكم أبدأ بها هنا، وهذا بيانها:

الحق الأول: بذل الطاعة له ظاهرًا وباطنًا، وهذا يكون لازمًا في المعروف فحسب، فإن أمر بمعصية فلا طاعة له، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «السمع والطاعة على المرء فيما أحب

أو كره، ما لم يُؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة». [البخاري: ٧١٤٤، ومسلم: ١٨٣٩].

وقال تعالى في كتابه الكريم: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ » [النساء: ٥٩]. وأولو الأمر هم: الأمراء والعلماء، وقد ذكر ابن كثير رحمه الله أقوالاً في ذلك عن الصحابة والتابعين وغيرهم، ثم قال: «والظاهر - والله أعلم - أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء، كما تقدم، وقد قال تعالى: « لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ » [المائدة: ٦٣]. وقال تعالى: « فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ » [النحل: ٤٣].

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني». [تفسير ابن كثير ٧١٣/١].

الحق الثاني: بذل النصيحة له سرًا وعلانية، كما في حديث تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. [مسلم: ٥٥].

قال النووي رحمه الله في شرحه للحديث: «وهذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام». ثم ذكر كلام الخطابي في شرح الحديث، ومما ذكر: أن النصيحة لله تنصرف إلى الإيمان به، ونفي الشريك عنه، ووصفه بصفات الجلال والكمال، وأما النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به وطاعته في أمره ونهيه ونصرته حيًا وميتًا، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته ونشر شريعته، وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم.

ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وألا يُغرُّوا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يُدعى لهم بالصلاح، وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر، فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم. [انظر شرح النووي على مسلم ج٢/٣٧- ٢٣٩].

أسلوب الوعظ للحكام والسلاطين:

ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أسلوب الوعظ للحكام والسلاطين، وذلك يكون بالترفق في الخطاب والرفق واللين وتحبيبهم في الخير بأوجز لفظ وأبلغ مقال، يقول سفيان الثوري: «ينبغي لمن وعظ ألا يعنِّف، ولمن وُعظ ألا يأنف، ويذكِّر

اعلم أن الولاية النافعة هي لمن اتخذها ديناً يتقرب بها إلى الله، ويفعل فيها الواجب الشرعي قدر الإمكان وقد وقع اختيار الشعب المصري على الدكتور محمد مرسي ليكون رئيساً للبلاد. ونسأل الله له العون والتوفيق والسداد!!

من يعظه ويخوّفه بما يناسب الحال، وما يحصل به المقصود، ولا يطيل، ولكل مقام مقال، ولكل فن رجال».

ويذكر ابن الجوزي - رحمه الله - الطريقة المثلى في نصح الحكام فيقول: «ينبغي لمن وعظ سلطانًا أن يبالغ في التلطف، ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم، فإن السلاطين حظهم التفرد بالقهر والغلبة، فإذا جرى نوع توبيخ لهم كان إذلالاً، وهم لا يحتملون ذلك، وإنما ينبغي أن يخرج وعظه بذكر شرف الولاية، وحصول الثواب في رعاية الرعايا، وذكر سير العادلين من أسلافهم». [صيد الخاطر: ٤٥٣].

وعلى المنصوح قبول النصيحة والاتعاظ بغيره: والكراسي لا تدوم، وقد كان بعض السابقين يقبلون النصيحة وتؤثر فيهم، وقد ذكر ابن رجب أنَّ ابن الجوزي نصح أمير المؤمنين المستضيء بأمر الله الحسن بن يوسف فقال:

ستنقلك المنايا عن ديارك
ويبدلك الردى دارًا بدارك
وتترك ما عُنيت به زمانًا
وتُنقل من غناك إلى افتقارك
فدود القبر في عينيك يرعى
وترعى عين غيرك في ديارك

فجعل المستضيء يمشي في قصره ويقول: إي والله، وترعى عين غيرك في ديارك، ويكررها ويبكي حتى الليل. [انظر: ذيل طبقات الحنابلة ١/٤٠٩].

ولأهمية النصيحة وضرورة بذلها للحكام، فإني أنصح العلماء والحكماء بذلك، وأنصح من ولاهم الله أمور المسلمين بقبول الوعظ والنصيحة والتواضع لذلك، وعليهم أن يقرّبوا العلماء منهم ويستمعوا إليهم ويشاوروهم، وأن يصدروا عن رأيهم، ففي ذلك الخير لهم ولشعوبهم وأوطانهم.

الحق الثالث: القيام بنصرتهم باطنًا وظاهرًا ببذل المجهود في ذلك؛ لما فيه نصر المسلمين وإقامة حرمة الدين، وكف أيدي المعتدين، والقعود عن نصرة الحاكم يضيّع هيبة الدولة ويضعفها، وعليه فلو خرجت فئة على الإمام الحق وبغت عليه، أو قام أحد ينازعه الحكم أو الخلافة بعد بيعته، فيجب في هذه الحالة الوقوف ضدهم وصد عدوانهم وبغيهم، وهذا حق من حقوق الإمام على رعيته، وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون « قالوا: فما تأمرنا؟ قال: « فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم». [البخاري ٣٤٥٥، ومسلم: ١٨٤٢]. قال ابن حجر في شرحه للحديث: «وفي الحديث تقديم أمر الدين على أمر الدنيا؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أمر بتوفية حق السلطان لما فيه من إعلاء كلمة الدين وكف الفتنة والشر». [فتح الباري ٦/٤٩٧].

على المنصوح قبول النصيحة والاتعاظ بغيره، فالكراسي لا تدوم، وقد كان السلف الصالح يقبلون النصيحة وتؤثر فيهم.

الحق الرابع: أن يُعرَف له عظيم حقه، وما يجب من تعظيم قدره، فيُعامَل بما يجب له من الاحترام والإكرام، وما جعل الله تعالى له من الإعظام، ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة المسلمين يعظمون حرمتهم، ويلبون دعوتهم مع زهدهم وورعهم وعدم الطمع فيما لديهم، وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من نقيض ذلك فليس من السنة.

الحق الخامس: إيقاظه عند غفلته، وإرشاده عند هفوته، شفقةً عليه، وحفظًا لدينه وعرضه.

الحق السادس: تحذيره من عدو يقصده بسوء، وحاسد يرومه بأذى، أو خارجي يخاف عليه منه، ومن كل شيء يخاف عليه على اختلاف أنواع ذلك وأجناسه، فإن ذلك من آكد حقوقه وأوجبها، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يقومون بذلك مع الخلفاء الراشدين، وقد وقع منهم ذلك لعثمان وعلي رضي الله عنهما على الخصوص.

الحق السابع: إعلامه بسيرة عماله، الذين هو مطالب بهم، ومشغول الذمة بسببهم لينظر لنفسه في خلاص ذمته، وللأمة في مصالح ملكه ورعيته، وهذا يدعوه أولاً إلى اختيار الأكفاء الأمناء، وعلى الرعية الصدق والمعروف في الحكم على عمال الوالي وسائر من أسند إليهم شيئًا من الاختصاصات، والإنصاف مطلوب.

الحق الثامن: إعانته على ما تحمله من أعباء الأمة ومساعدته على ذلك بقدر الإمكان، قال الله تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ» [المائدة: ٢]، وأحق من أعين على ذلك ولاة الأمور، والأمر بالتعاون على البر والتقوى واجب على كل فرد إيجابًا دينيًا بنص القرآن الكريم.

وعليه فإني أهيب بعموم الشعب المصري أن يعين بعضهم بعضًا على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس في دينهم ودنياهم، وتدفع عنهم المضار والمفاسد في دينهم ودنياهم.

الحق التاسع: رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه؛ لما في ذلك من مصالح الأمة وانتظام أمور الملة، وهذا يدعو إلى عدم تهييج الناس عليه، ونهي العامة عن الخوض في عرضه والنيل منه. قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير». [جامع العلوم والحكم ص١٠٩].

الحق العاشر: الذبّ عنه بالقول والفعل، وبالمال والنفس والأهل في الظاهر والباطن، والسر والعلن.

وإذا وفت الرعية بهذه الحقوق العشر الواجبة، وأحسنت القيام بمجامعها والمراعاة لموقعها، صفت القلوب، وأخلصت، واجتمعت الكلمة، وانتصرت.

نسأل الله العون والتوفيق، وللحديث صلة بإذن الله عن واجبات الحاكم.

والحمد لله رب العالمين.

لأهمية النصيحة وضرورة بذلها للحكام، فإني أنصح العلماء والحكماء بذلك، وأنصح من ولاهم الله أمور المسلمين بقبول الوعظ والنصيحة والتواضع لذلك، وعليهم أن يقرّبوا العلماء منهم ويستمعوا إليهم ويشاوروهم !!

كلمة التحرير

مذابح المسلمين في بورما.. والصمت المخزي

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

الحمد لله الواحد الخلاق، أمرنا بالتآلف والوفاق، ونهانا عن سُبُل التفرُّق والشقاق، وبعدُ:

بينما يستعدُ المسلمون في أنحاء المعمورة لرحيل شهر رمضان، وقد ربح من ربح، وخسرَ من خسَر، ورَحَل مَنْ رَحَل، ومع اشتداد الفتن، فإننا نذكّر أنفسنا وإياكم أن أمتنا الإسلامية في أشد ما تكون حاجة إلى التواصي بالحق والتجرد والتوحد على الكلمة الطيبة البناءة التي تشعّ منها الخشية والتقوى، وإحسان الظن بالبرآء الأتقياء، وتأكيد المواثيق والعُرَى في عميق مصداقيتهم، ومكين مرجعيتهم، مع التوحد صفًا واحدًا كالبنيان المرصوص ضد شياطين الإنس، ممن لا يريدون للبلاد والعباد خيرًا، وضد التيارات المنحرفة، والأفكار المسمومة القاتلة التي لا تزال جرائمها تؤرق النفوس وتزعزع أمن الأوطان.

مع ضجيج أجهزة إعلام فاسدة ماجنة كاذبة، تريد أن تشعل وتؤجج لهيب الفتن عندما تحل نكبة بالبلاد.

وها هي مصر مع اقتراب الأيام الأخيرة من شهر رمضان تفقد شبابًا من خيرة شبابها على يد ثُلة من أتباع الشياطين في هجمة غادرة على شبابنا البواسل في نقطة حدودية بالقرب من رفح المصرية، أثناء تناولهم طعام الإفطار، لم يتم التعرف على هويتهم الشيطانية، ومن يقف وراءهم في عملية استخباراتية ضد مصر وكرامتها وأرواح أبنائها، وفلذات أكبادها، وسط تهافت شديد من الاتهامات المتبادلة حول من قصّر، ومن كان سببًا؟!

إنها كارثة مُدْمية تحلّ بكل بيت مصري، وتشغلنا عما كنا قد انتوينا أن نتناوله في هذا العدد عما يتعرض له المسلمون في دولة بورما المسماة بـ «ميانمار»، جحيمًا حقيقيًا، لم يشهد له التاريخ البشري مثيلاً، حيث يقوم النظام الحاكم بالتعاون مع الرهبان البوذيين، بالتعامل مع الأقلية المسلمة - المسالمة - كأنهم وباء سرطاني لا بد من استئصاله من كل بورما، في مجازر تقشعر لها الأبدان ؛ حيث يُحرق الناس في قراهم في شكل جماعي، ويُذبحون كالخراف، وتُغتصب النساء بالمئات، ويُلاحق الشباب والأطفال إلى داخل الغابات الاستوائية المرعبة والمملوءة بالوحوش، وينزح مئات الآلاف من المسلمين إلى الشواطئ لينجوا بأنفسهم مبحرين إلى بنجلاديش على متن قوارب متهالكة في خضم محيط هائج، وعلى الفور يتم بناء مستوطنات مكانهم للبوذيين، في عملية تطهير عرقي واسعة النظير على الملأ أمام الكاميرات وعلى مرمى سمع

وبصر المجتمع الدولي !!

كل هذا مع صمت رهيب على هذه المؤامرة من العالم العربي والإسلامي، اللهم إلا تنديدات فارغة، وكلمات بلا قيمة، يتواكب كل هذا مع عالم إسلامي يموج في الفتن، وفي مؤامرة مدّعيّ الحرية والديمقراطية الزائفة، وأصحاب «خروق الإنسان» الذين قد أعمى الله أبصارهم، وشل أفئدتهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أصابع الغدر الشيطاني تقتل جنود مصر الأبرياء!!

بينما ينتظر جنود من خيرة شباب مصر إحدى فرحتي الصائم حين يُفطر، وهم يحرسون حدود مصر أصابتهم أصابع الغدر، نحسبهم من الشهداء، فقد قضوا نحبهم بعد صيام فرضهم، وهم يحرسون حدودهم من غدر الصهاينة والمنافقين والمتآمرين؛ دفاعًا عن الوطن، وسط إمكانيات دفاعية ضئيلة وشحيحة، فرضت عليهم تطبيقًا لاتفاقية كامب ديفيد، ووسط تساؤلات عديدة تدور بالأذهان، والألم والحزن العميق الذي يعتصر كل مصري في محاولة لمعرفة الحقائق الغائبة حول دور الأجهزة الأمنية والمعلوماتية التي تغافلت عما صدر من العدو الصهيوني للسائحين الصهاينة في شبه جزيرة سيناء، وتحذيرهم من وقوع عمليات إرهابية وشيكة في سيناء، وعدم اتخاذ كل وسائل الحيطة والحذر في مثل تلك الظروف، وعدم أخذها مأخذ الجد بالتحليل والتحذير، ووضع الخطط السريعة لوأد تلك الخطط الشيطانية التي لا تريد لمصر الخير.

ومع وقوع الحادث الذي لم يتم الإعلان عن ماهيته الحقيقية ولا عن من يقفون خلف هذا الحادث المؤلم حتى الآن، وأيًا كان من قام به، لابد أن يُعرف ويُعلن عنه، وعن كل التفاصيل التي تدور حوله، وأصابع الاتهام تشير إلى بعض المتهمين في هذا الحادث البشع :

فأول أصابع الاتهام تشير إلى العدو الصهيوني بجهاز مخابراته الملوثة أيديهم بالدماء منذ وطئت أقدامهم القذرة أرض فلسطين وهي مغموسة في القتل والفتن والمؤامرات والمذابح للعرب والمسلمين، فهو المستفيد الأول من ذلك ، إلى جانب بعض المتهين الآخرين كأصحاب الأفكار المتطرفة والعملاء والخونة.

وعلى الجانب الآخر فإن غزة وأنفاقها كبّدت مصر الكثير من الضرر وتغاضت مصر بأجهزتها الأمنية كثيرًا عما سببته تلك الأنفاق من أضرار باقتصاد مصر وأمنها القومي، مع رغبة كل المصريين في تفويت الفرصة على الصهاينة لتجويع الشعب الفلسطيني، وفك الحصار عنه رغمًا عن أنف الصهاينة.

وأيًا كان من سيعلن عنه من شياطين الإنس وأيًا كانت جنسيتهم فلا بد من القصاص، وألا تأخذنا بهم شفقة ولا رحمة، فلم يعد الأمر يحتمل الهوادة ولا التسامح مع من فقدوا وتجردوا من كل مشاعر الإنسانية في عملهم الشنيع، وقد نستشعر من هذه الجريمة أنها نتاج أيد مُدربة على مثل تلك العمليات القذرة بأسلوب الغدر والخيانة المخابراتية.

وإننا إذ نعزي أنفسنا في هذا الحدث الجلل فإننا نهيب برئيس الدولة والمؤسسة العسكرية وأجهزة المخابرات العامة والعسكرية وحكومة مصر عدم إعطاء الفرصة لأصحاب الأهواء في نشر الفتن إثر وقوع الحادث المؤلم، وتبادل الاتهامات عن المسئولية وحول من تلقى عليه تهمة التقصير، ولتُشكل لجنة على أعلى مستوى من العسكريين والقانونين ورجال الأجهزة الأمنية في أسرع وقت، وتبدأ عملها على أن تعلن للشعب على الملأ كل التفاصيل وليُحاسَب كل مقصر، ولتقطع أيدي المتورطين في تلك الجريمة الشنعاء أيًا كانت جنسيتهم، وليعرف الجميع أننا نقف في خندق واحد، وليتجرد الجميع من الهوى والانتماءات الحزبية، ولا يعطوا الفرصة لأعداء مصر وأعداء الإسلام ممن يتربصون بنا في كل مكان؛ حتى يعود لمصر شموخها وهيبتها وقيادتها، وليس ذلك على الله ببعيد، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

شدة التآمر على الإسلام والمسلمين

إن ما تمر به الأمة في شتى بقاعها من صنوف التآمر ضد الإسلام والمسلمين في جميع أنحاء العالم لا يجد المتأمل في وضعها الراهن عناء في القول: إنَّ أمتنا أظلها زمانٌ حالك بالمصائب والمدلهمات، وسط أعداء ألدّاء، تَرْمُقُها مُقَلٌ حاسدة، وترميها عن قوس واحدة، أضمرت لها الكيد والعداء، مع ما تعانيه من شتات ذاتي ونفور داخلي، وصراع بيني، وفهم أحادي لكثير من القضايا وطغيان أفكار منحرفة هدامة، لم يزد ذلك في جسد الأمة إلا وهنًا وتفريقًا وجروحًا وتمزيقًا.

وإن ما أصاب الأمة ما هو إلا تصديق

لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت». [صحيح سنن أبي داود للألباني].

وما يحدث للأقليات الإسلامية في كل أنحاء العالم من قتل وتشريد وتنكيل في صورة لا تقع إلا للمسلمين أمام أعين العالم التي عميت، وأذنه التي صُمت، وضمائره التي ماتت!! ووقف أصحاب الديمقراطية الزائفة والحريات المكذوبة يتفرجون على مئات الآلاف من المسلمين في بورما تحدث لهم مذابح جماعية يندى لها الجبين.

فبينما تتجه أنظار العالم أجمع إلى التحولات السياسية التي تمر بها معظم بلاد الشرق الأوسط، والصراع الدائم بين القوى العالمية على بسط نفوذها، تعيش الأقلية المسلمة في بورما - أو جمهورية اتحاد ميانمار - مأساة إنسانية؛ حيث تم قتل الآلاف، وتشريد آلافًا آخرين في أحداث العنف التي تشهدها البلاد وسط صمت إسلامي وعربي ودولي عجيب، وخاصة أمريكا المتشدقة بحقوق الإنسان والحريات المزعومة، مع اختفاء لأي صوت لمنظمات «خروق الإنسان» التي تبحث عن تنفيذ مآربها المخابراتية ومخططاتها الشيطانية للتدخل في شئون البلاد لتنفيذ المخططات الموكولة إليها.

المسلمون في بورما.. مآس لا تنتهي!!

ولنتعرف معًا عزيزي القارئ من خلال تلك السطور على أن هناك أمة مسلمة اسمها «الروهنيجا» تعيش في ميانمار «بورما»، وتقع دولة ميانمار في الجنوب الشرقي لقارة آسيا، ويحدها من الشمال الصين والهند، ومن الجنوب خليج البنغال وبنجلاديش، ويبلغ عدد سكانها أكثر من خمسين مليون نسمة، وتقدر نسبة المسلمين بـ ١٥٪ من مجموع السكان.

وقد دخل الإسلام إلى هذه الدولة عن طريق مملكة قديمة تسمى «أراكان»، وهي الآن ولاية ضمن جمهورية بورما، وكانت أراكان في القرن الأول الهجري تضم أكبر تجمع لأهل هذا البلد، وقد وصل الإسلام إليها في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد في القرن السابع الميلادي عن طريق التجار العرب، حيث أعجب أهل بورما بأخلاقهم فدانوا بدينهم، وعملوا بالزراعة في البدء، ثم هيمنوا على التجارة، واستوطنوا في كثير من البقاع حتى أصبحت بعد ذلك دولة إسلامية حكمها ٤٨ ملكًا مسلمًا على التوالي ما بين عامي ١٤٣٠- ١٧٨٤م، وكان لهم عملات نقدية تتضمن شعارات إسلامية مثل كلمة التوحيد.

ومما يدل على قدم وجود المسلمين في هذه الدولة أيضًا بعض الآثار التاريخية كمسجد «بدر مقام» في «أكياب» عاصمة «أراكان»، ومسجد «سندي خان» الذي بُني منذ ٥٦٠ عامًا، ومسجد «الديوان موسى» الذي بني عام ١٢٥٨م، ومسجد «ولي خان» الذي بني في القرن الخامس عشر الميلادي.

بورما في قبضة البوذيين ثم الإنجليز

وتعتبر أراكان ركنًا من بورما، وتمثل أكبر تجمع إسلامي فيها كما يوجد تجمعات أخرى للمسلمين في كل من «ماندلي»، و«ديفيو»، و«شاه»، و«مكاياه»، والعاصمة «رانجون»، وغيرها؛ حيث يقع على تلك التجمعات أعظم ضغط جماعي من قبل حكومة بروما العسكرية.

أما العنصران الأساسيان من سكانها والموجودان فيها حاليًا فهما:

«الروهنجيا» الذين يدينون بالإسلام، وينحدرون من أصول عربية وفارسية وتركية، أما لغتهم فخليط من البنغالية والفارسية والعربية.

و«الماغوا» الذين يدينون بالبوذية بالإضافة إلى أقليات عرقية متعددة، وقد احتُلت «أراكان» من قبل الملك البوذي «بوداباي» عام ١٧٨٤م، والذي قام بضم الإقليم إلى بورما؛ خوفًا من انتشار الإسلام في المنطقة، واستمر البوذيون البورميون في اضطهاد المسلمين ونهب خيراتهم وتشجيع البوذيين الماغ على ذلك طوال فترة احتلالهم.

وفي عام ١٨٨٤م احتلت بريطانيا بورما وضمتها إلى حكومة الهند البريطانية الاستعمارية، وفي عام ١٩٣٧م جعلت بريطانيا بورما مع أراكان مستعمرة مستقلة عن حكومة البريطانية الاستعمارية كباقي مستعمراتها في الإمبراطورية آنذاك، وعُرفت بحكومة بورما البريطانية.

وقد واجه المسلمون الاستعمار الإنجليزي بقوة، مما جعل بريطانيا تخشاهم، فبدأت حملتها للتخلص من نفوذ المسلمين؛ باعتماد

سياستها المعروفة «فرِّق تسد»، فعمدت إلى تحريض البوذيين ضد المسلمين، وأمدتهم بالسلاح حتى أوقعوا بالمسلمين مذبحة عام ١٩٤٢م، فتكوا خلالها بحوالي مائة ألف مسلم في آراكان.

استقلال بورما

في عام ١٩٤٨م منحت بريطانيا الاستقلال لبورما شريطة أن تمنح لكل العرقيات الاستقلال عنها بعد عشر سنوات إذا رغبت في ذلك، ولكن ما إن حصل البورمان على الاستقلال حتى نقضوا عهودهم ونكثوا على أعقابهم، واستمروا في احتلال آراكان بدون رغبة سكانها من المسلمين الروهينجا والبوذيين الماغ أيضًا، وقاموا بالممارسات البشعة ضد المسلمين.

صور من اضطهاد مسلمي بورما

يتعرض المسلمون في بورما لشتى أنواع الاضطهاد والتضييق؛ نتيجة لفرض الضرائب الباهظة عليهم، والغرامات المالية، ومنع بيع المحاصيل إلا للعسكر أو من يمثلهم بسعر زهيد؛ بهدف إبقاء المسلمين فقراء أو إجبارهم على ترك الديار، وكذلك منع المسلمين من شراء الآلات الزراعية الحديثة لتطوير مشاريعهم الزراعية، وإحراق محاصيلهم الزراعية، وقتل مواشيهم.

ومن الناحية الدينية لا تسمح الحكومة بطباعة الكتب الدينية وإصدار المطبوعات الإسلامية إلا بعد إجازاتها من الجهات الحكومية المتشددة ضدهم بالطبع، بالإضافة إلى عدم السماح بإطلاق لحاهم أو لبس الزي الإسلامي في أماكن عملهم، ومنع استخدام مكبرات الصوت لرفع الأذان، ومنع المسلمين من أداء فريضة الحج باستثناء قلة من الأفراد الذين لهم علاقة بالحكومة.

وكذا يتعرض كبار رجال الدين للامتهان والضرب ، ويتم إرغامهم على العمل في معسكرات الاعتقال، وكذلك يتم هدم المساجد وتحويلها إلى مراقص وخمارات ودور سكن، أو تحويلها إلى مستودعات وثكنات عسكرية ومتنزهات عامة، ومصادرة الأراضي والعقارات الخاصة بالأوقاف الإسلامية، وتوزيعها على الماغ البوذيين.

مع المحاولات المستميتة لطمس الهوية والآثار الإسلامية؛ وذلك بتدمير المساجد والمدارس التاريخية، وما بقيَ يُمنع منعًا باتًا من الترميم فضلاً عن إعادة البناء أو بناء أي شيء جديد له علاقة بالدين؛ من مساجد ومدارس ومكتبات ودور أيتام، وبعضها تهوي على رءوس الناس؛ بسبب مرور الزمن.

والمدارس الإسلامية تُمنع من التطوير أو الاعتراف الحكومي والمصادقة على شهادتها أو خريجها.

أما عن وضع المرأة هناك فتقوم السلطات بإعطاء حقن مانعة للحمل للنساء المسلمات في حالات كثيرة، ورفع سن الزواج للفتيات لـ٢٥ عاماً، والرجال ٣٠ عاماً، ومنع عقود النكاح إلا بعد إجراءات طويلة معقدة من السلطات، ومنع التعدد منعاً باتاً مهما كان السبب، ومنع الزواج مرة أخرى للمطلق أو المطلقة أو الأرمل أو الأرملة إلا بعد مرور سنة كاملة، ومن يخالف ذلك يعرّض نفسه للسجن والغرامة أو الطرد من البلاد، والهدف من وراء ذلك هو القضاء على مسلمي بورما أو تقليل عددهم.

وإذا حملت الزوجة يُفرض عليها أن تذهب إلى إدارة قوات الأمن الحدودية «ناسكا» لأخذ صورتها الملونة وهي كاشفة لبطنها وذلك كل شهر، حتى تضع حملها، وفي كل مرة لا بد من دفع رسوم بمبالغ كبيرة، وذلك للتأكد كما تدعي السلطات من سلامة الجنين ولتسهيل إحصائية المولود بعد الولادة.

كذلك يتم أخذ النساء عنوة من منازلهن وإجبارهن على العمل في معسكرات الجيش دون مقابل.

وكذا إجبار الفتيات المسلمات على الزواج من البوذيين.

مع انتهاك حرمات النساء وإجبارهن على خلع الحجاب.

والحضور الإجباري للبنات المسلمات غير المتزوجات إلى قيادة القوات المسلحة والعمل لمدة ستة أشهر تحت إشراف أفراد حرس الحدود.

إضافة إلى عمليات الاغتصاب الجماعي وهتك الأعراض في صفوف المسلمات اللاتي يموت بعضهن بسبب الاغتصاب.

فاللهم اجعل لمسلمي بورما فرجًا ومخرجًا، اللهم احقن دمائهم، واحفظ أعراضهم، وأمّنهم في وطنهم، اللهم اكشف عنهم البلاء، اللهم قاتل البوذيين المتجبرين ومن عاونهم يا جبار يا قهار قاتل المتجبرين الفجار، اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم الطف بعبادك المسلمين في كل مكان يا أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير



تفسير سورة الزمر

الحلقة الأولى

إعداد / د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..

أما بعد: فقد انتهينا بفضل الله من تفسير سورة ص، ونبدأ اليوم مع سورة الزمر، نقتطف من معانيها وآدابها ونتعلم بعض أحكامها، والله نسأل أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

بين يدي السورة:

هي سورة الزمر، وتسمى سورة الغُرَف، تسمى سورة الزمر لقول الله تبارك وتعالى فيها: «وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا»، وتسمى سورة الغُرَف لقوله تعالى: «لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا».

وهي سورة مكية، شأنها شأن السور المكية في الاهتمام بترسيخ العقيدة، وبيان أصول الدين وأركان الإيمان، وقد ركزت على الأصول الثلاثة: وهي التوحيد، والنبوة، والبعث بعد الموت.

والمناسبة بينها وبين سورة ص أن الله تبارك وتعالى قال في خاتمة سورة ص «إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ»، ثم استفتح سورة الزمر ببيان مصدر هذا الذكر، فقال: «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»، وهكذا التأمت البداية والنهاية التئاماً كاملاً، بحيث لو أن البسملة سقطت من بين السورتين لم يكن هناك تنافٍ بين النهاية والبداية.

كما أن من وجوه المناسبة بين السورتين أن الله تبارك وتعالى ذكر في خاتمة سورة ص قصة خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام، ثم ذكر في هذه السورة الكريمة خلق زوج آدم: حواء، وخلق ذريتهما.

وذكر الله تبارك وتعالى بعد ذلك أن الكل ميتون، وإلى ربهم راجعون، وبأعمالهم مجزيون، إلى أن قال سبحانه وتعالى: «وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

وهكذا اشتمل آخر سورة ص وسورة الزمر كلها على ذكر المبدأ والمعاد، والبداية والنهاية، وخلق الإنسان وأطواره التي يمر بها، إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

يقول ربنا الجليل سبحانه: «تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى

مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ» [الزمر: ١- ٩].

القرآن كلام الله:

«تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ»:

«تَنزِيلُ» مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هذا تنزيل، أو مرفوع على أنه مبتدأ، وخبره ما بعده، «تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ»، فمصدر هذا القرآن هو الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى نزل هذا القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأكثر الله تبارك وتعالى من تقرير هذا الخبر في كتابه العزيز، في مثل قوله تعالى: «تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ» [غافر: ٢]، «تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ» [فصلت: ٢]، «وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ» [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥].

فالقرآن الكريم هو كلام الله عز وجل، وكلام الله صفة من صفاته، والصفة تتبع الموصوف، والله سبحانه وتعالى الذي نزل الكتاب هو العزيز الحكيم، ليس كمثله شيء، وكذلك كلام الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، فكلام الله تبارك وتعالى لا يشبه كلام المخلوقين، ولا يشبهه كلام المخلوقين، ولما كان القرآن كلام الله العزيز الحكيم، وصف الله تبارك وتعالى القرآن بما وصف به نفسه فقال: «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»، وقال عن الكتاب: «وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ» [فصلت: ٤١]، وقال: «وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ» [الزخرف: ٤].

ومرة ثانية يؤكد على أن هذا القرآن من عنده، فيقول سبحانه وتعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» أي متلبساً بالحق، «لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ» [فصلت: ٤٢] فكل ما فيه حق، كل ما في القرآن الكريم من الأوامر، والنواهي، والشرائع، والأخبار، والأحكام، والقصص، كله حق؛ لأنه كلام الله الحق.

الحث على شكر النعم:

«فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ» حتى تشكره على نعمة التنزيل، فإن تنزيل الكتاب نعمة عظيمة، كما قال تعالى: «وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» [النساء: ١١٣]، وهذه نعمة أنعم الله بها عليك، وكل نعمة يجب أن تُقابَل بالشكر، «فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ» حتى تكون من الشاكرين.

«أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ»، فلا يقبل الله تعالى من الدين، ولا يقبل من العبادات، ولا يقبل من الطاعات، إلا ما كان خالصاً لوجهه عز وجل: «فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا» [الكهف: ١١٠] ففي الحديث القدسي، قال الله تعالى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» [مسلم ٢٩٨٥].

فالله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال، ولا يقبل من الطاعات، ولا يقبل من العبادات، إلا ما كان خالصاً لوجهه عز وجل، وبذلك أمر الأولين والآخرين، فقال عن الأولين: «وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ» [البينة: ٥]، وقال تعالى: «ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ» [التوبة: ٣١]، وقال للاحقين: «فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ» [غافر: ١٤]، وقال تعالى: «هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» [غافر: ٦٥]، فالشرك في العبادة يبطلها ويردها على صاحبها، سواء كان شركاً أكبر أم شركاً أصغر، أما الشرك الأكبر فقد قال الله تبارك

وتعالى فيه: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [الزمر: ٦٥].

وأما الشرك الأصغر فقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ. قَالُوا وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: الرِّيَاءُ» [مسند أحمد (٢٣٦٣٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٥٥١].

عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» [مسلم ١٩٠٥].

فالإخلاصَ الإخلاصَ يا عباد الله، لا تعملوا للناس شيئًا، إنهم لن يغنوا عنكم من الله شيئًا، لا تعملوا طمعاً في مدحهم، ولا تعملوا اتقاء ذمهم، «فَمَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ الله بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ الله وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ» [الترمذي ٢٥٢٧ وصححه الألباني].

لا تتخذوا من دون الله أولياء:

«وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ» من دون الله عز وجل «أَوْلِيَاءَ» يتولونهم، ويحبونهم، ويتقربون إليهم، فإذا قيل لهم: لم تعبدونهم؟ قالوا: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى»: «زُلْفَى» اسم أقيم مقام المصدر المحذوف، وتقدير الكلام: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ» تقريباً، فتقريباً مصدر يقربونا، فحذف المصدر، وأتى باسم مكانه وهو «زُلْفَى».

وفي موضع آخر قال الله تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ» [يونس: ١٨] أي كانوا يرجون بعبادتهم الأصنام أن يشفعوا لهم عند الله سبحانه وتعالى لينصرهم ويرزقهم ويعافيهم، لا ليشفعوا لهم عند الله في الآخرة، فإنهم كانوا كافرين بالآخرة، كما قال تعالى: «إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ» [الواقعة: ٤٥- ٤٨].

وإنما وقعوا في هذا الخطأ العظيم بسبب القياس الفاسد، وهو أنهم قاسوا الله تبارك وتعالى على خلقه، فقالوا: إن الملوك لا يوصل إليهم إلا بوجهاء، وشفعاء، ووزراء، يرفعون إليهم حوائج رعاياهم، ويستعطفونهم عليهم، ويمهدون لهم الأمر في ذلك، فالله تعالى كذلك.

وهذا القياس من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم، عقلاً ونقلاً وفطرة، فإن الملوك إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين رعاياهم؛ لأنهم لا يعلمون أحوالهم، فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم، وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيحتاج من يعطفهم عليه ويسترحمهم له، ويحتاجون إلى الشفعاء والوزراء، ويخافون منهم، فيقضون حوائج من توسطوا لهم، مراعاة لهم، ومداراة لخواطرهم، وهم أيضًا فقراء، قد يمنعون لما يخشون من الفقر.

وأما الرب تعالى، فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها، الذي لا يحتاج إلى من يخبره بأحوال رعيته وعباده، وهو تعالى أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحمًا لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته، وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم، وهو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلا منهم ما سأل وتمنى، لم ينقصوا من غناه شيئًا، ولم ينقصوا مما عنده، إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط، وجميع الشفعاء يخافونه، فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه، وله الشفاعة كلها.

فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به، وسفههم العظيم، وشدة جراءتهم عليه.

ويعلم أيضًا الحكمة في كون الشرك لا يغفره الله تعالى؛ لأنه يتضمن القدح في الله

تعالى، ولهذا قال حاكمًا بين الفريقين، المخلصين والمشركين، وفي ضمنه التهديد للمشركين: «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

وقد عُلم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم، ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة. [تيسير الكريم الرحمن (٦/ ٤٤٥- ٤٤٧)].

فلا تجعلن بينك وبين الله في سؤاله ودعائه واسطة أبداً، يقول العلماء: الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه أسئلة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يجيبهم «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ» [الأنفال: ١]، و «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ» [البقرة: ٢١٩]، «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ» [البقرة: ١٨٩]، فلما قالوا: أقريب ربنا فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ ألغى الله تبارك وتعالى الواسطة في الجواب فقال: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» [البقرة: ١٨٦]، ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالجواب كما أمره في الأسئلة الأخرى.

فلا تجعلن بينك وبين الله واسطة في العبادة فـ «إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» [الترمذي (٢٦٣٥) وصححه الألباني].

الله يحكم بين عباده يوم القيامة:

«إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»:

قال بعض المفسرين: «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ» بين الذين اتخذوا من دون الله أولياء، لأنهم ليسوا على ملة واحدة، وإنما هم ملل ونحل كثيرة، منهم من عبد الحجر، ومنهم من عبد الشمس، ومنهم من عبد عزيرًا، ومنهم من عبد الملائكة، فالله تبارك وتعالى «يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

وقال بعض المفسرين «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ» أي بين الذين اتخذوا من دونه أولياء وبين المخلصين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون؛ لأن أهل التوحيد مختلفون مع أهل الشرك، كل يدعي أنه على الحق، فالله تبارك وتعالى «يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»، كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» [الحج: ١٧].

أسباب الهدى والضلال:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ»: الذين زعموا أن هذه الأصنام آلهة كذبوا على الله عز وجل وكفروا به، والذين زعموا أن هذه الأصنام تشفع لهم عند الله كذبوا على الله عز وجل، والذين زعموا أن هذه الأصنام تقربهم من الله زلفى كذبوا على الله عز وجل، والله «لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ»، إنما يهدي الله تبارك وتعالى من قبل الهدى واتبعه، كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ» [يونس: ٩] أي بسبب إيمانهم، ولذلك قال تعالى: «وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى» [مريم: ٧٦]، وقال: «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ» [محمد: ١٧].

الله واحد لا ولد له:

ولقد زعموا أن الملائكة بنات الله، ثم صوروا صورًا على هيئة الملائكة، وعبدوها من دون الله، فنسبوا لله الولد، فكذبهم الله تبارك وتعالى في هذه النسبة، ونزه نفسه عما وصفوه به، فقال عز وجل: «لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ»: يقولون لو حرف امتناع الامتناع: «لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» وجعله ولدًا له من غير أن يتخذ صاحبة، ولكنه لم يرد أن يتخذ ولدا، فلم يكن له ولد، بل الكل عباده، كما قال تعالى: «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا» [مريم: ٨٨- ٩٣].

فثبت بطلان نسبتهم الولد لله، ولذلك نزه نفسه عما وصفوه به، فقال: «سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ» الواحد في ذاته، والواحد في صفاته، والواحد في أفعاله، «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» في ذاته، و«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» في صفاته، و «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» في أفعاله، «هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ».

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
محبة النبي صلى الله عليه وسلم

الحلقة (٧)

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فنواصل الحديث عن وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتقديمها على محبة النفس، فما دونها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أقسام محبته صلى الله عليه وسلم:

ذكر ابن رجب الحنبلي أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم درجتان:

إحداهما: فرض:

وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله، وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غيرِ طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه، من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه، والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة. فهذا القدر لا بد منه، ولا يتم الإيمان بدونه.

الدرجة الثانية: فضل:

وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به، وتحقيق الاقتداء بسنته، وأخلاقه، وآدابه، ونوافله، وتطوعاته، وأكله وشربه ولباسه، وحسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، والأخرى الظاهرة.

ومن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم: ألا يتلقى العبد شيئًا من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاة النبوة، ولا يسلك إلا طريقته، ويرضى بما شرعه ولا يجد في نفسه حرجًا مما قضى به، ويتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها. [راجع فتح الباري].

محبة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم له:

قال الله تعالى: « إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا » [الفتح: ٨، ٩].

هذه الآية بينت حقًا مشتركًا بين الله وبين رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الإيمان، وحقًا خاصًا به تعالى وهو التسبيح، وحقًا خاصًا بنبيه صلى الله عليه وسلم وهو التعزير والتوقير.

والتعزير: اسم جامع لنصره وتأييده، ومنعه من كل ما يؤذيه.

والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يُعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار. [راجع الصارم المسلول لابن تيمية ص٤٢٢].

والتعظيم أعلى منزلة من المحبة؛ لأن المحبوب لا يلزم أن يكون معظمًا كالولد فإنها تدعوه إلى تعظيمه.

ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمه عبادة لله عز وجل، وقربة إليه سبحانه، محلها القلب واللسان والجوارح.

وقد نال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين النصيب الأوفى من محبته وتعظيمه صلى الله عليه وسلم، ولم ولن يدركهم من بعدهم.

سُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ.

ولقد حكَّم الصحابة - رضوان الله عليهم - رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنفسهم وأموالهم، فقالوا: هذه أموالنا بين يديك، فاحكم فيها بما شئت، وهذه نفوسنا بين يديك، ولو استعرضت بنا البحر لخضناه، نقاتل بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك، وعن شمالك.

وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: يا رسول الله، ألا نبني لك عريشًا فتكون فيه، وننيخ لك ركائبك، ونلقى عدونا، فإن أظهرنا الله عليهم وأنجزنا فذاك ما أحب إلينا، وإن تكن الأخرى فتجلس على ركائبك وتلحق بمن وراءنا من قومنا، فقد والله تخلف عنك أقوام ما نحن لك بأشد حبًا منهم، لو علموا أنَّا نلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يوادونك وينصرونك، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا ودعا له بخير.

ولقد شهد أبو سفيان بن حرب - وهو على الشرك حينذاك - بحب الصحابة الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم والخير ما شهد به الأعداء. قال أبو سفيان: «ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا». [يُنظر: سيرة ابن هشام].

وشهد بذلك عروة بن مسعود عندما ذهب يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم رأي قريش في صلح الحديبية - وهو على الشرك حينئذ - جعل يرمق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينيه، فلما رجع إلى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدتُ على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكًا قط يُعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا؛ فوالله ما تنخم نخامة إلا وقعت في كفِّ رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له. [البخاري: ٢٧٣١، ٢٧٣٢].

وروى مسلم أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «وما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سُئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه».

ومن شدة حرص الصحابة على إكرامه وتجنب إيذائه ما رواه البيهقي في الشعب برقم (١٥٣١) من قول أنس بن مالك رضي الله عنه: «إن أبواب النبي صلى الله عليه وسلم كانت تُقرع بالأظافير».

لقد سطر الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، تلك بعض أمارات حبِّ النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، تُقاس بها درجة التعظيم، وتُفحص بها حرارة المحبة، نسأل الله أن يعيننا وإخواننا المسلمين أجمعين على التزامها ما حيينا. وعلينا أن نراجع أنفسنا أين نحن من محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

عدم الغلو في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لها حدود، ومن ذلك عدم الغلو فيها، والغلو هو مجاوزة الحد، بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق.

والغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ عند بعض مُدَّعي المحبة حدًا خطيرًا، لجهلهم وغفلتهم، وقد اتخذ أشكالاً كثيرة.

كهذا الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ملاذه وملجاه إذا نزلت به الشدائد والمصائب، حتى وصل البعض إلى أن علم اللوح المحفوظ والقلم وما سطره إنما هو بعض من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يا أكرمَ الخلق ما لي من ألوذُ به
سواكَ عند حلولِ الحادثِ العَمِمِ
ولن يضيق رسول الله جاهك بي
إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإنَّ من جودك الدنيا وضرَّتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

ولذلك يقول ابن القيم:

لله حق ليس لعبده
ولعبده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقًا واحدًا
من غير تمييز ولا فرقان

وحقه صلى الله عليه وسلم علينا محبته وطاعته واتباعه وتوقيره واحترامه من غير غلو ولا إفراط، كما قال صلى الله عليه وسلم: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله». [رواه البخاري].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم نفسه كما أخبر الله عز وجل عنه: «قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ» [الأعراف: ١٨٨].

وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل الذي قال له: ما شاء الله وشئت، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أجعلتني لله عدلاً؟ قل: ما شاء الله وحده « [ابن ماجه (٢١١٧) وصححه الألباني].

يقول العلامة الشنقيطي: اعلم أنه يجب على كل إنسان أن يميز بين حقوق الله تعالى التي من خصائص ربوبيته التي لا يجوز صرفها لغيره، وبين حقوق خلقه كحق النبي صلى الله عليه وسلم ليضع كل شيء في موضعه على ضوء ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم والسنة الصحيحة. اهـ.

فيجب على كل مسلم أن يعلم هذا ليفرق بين التعظيم الذي يدور على الاتباع، وبين الغلو الذي يدور على الابتداع.

فعلينا أن نعظم ربنا بامتثال أمره واجتناب نهيه وإخلاص العبادة له، وتعظيم نبينا صلى الله عليه وسلم باتباعه والاقتداء به، وألا نخالفه صلى الله عليه وسلم ولا نعصيه، ونحذر كذلك من عدم احترام النبي صلى الله عليه وسلم كالغض منه، أو تنقيصه صلى الله عليه وسلم، أو الاستخفاف به، أو الاستهزاء به -نعوذ بالله تعالى من ذلك- لأن ذلك ردة عن الإسلام، قال الله تعالى في الذين استهزأوا بالنبي وسخروا منه في غزوة تبوك: « وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ » [التوبة: ٦٥، ٦٦].

وعلينا ألا نفعل شيئًا يُشعر بعدم التعظيم والاحترام، كرفع الأصوات قرب قبره صلى الله عليه وسلم أو عند سماع حديثه، أو النداء عليه باسمه مجردًا... إلخ.

من ثمرات محبة النبي صلى الله عليه وسلم:

١- تحصيل الحياة الطيبة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار» [متفق عليه].

٢- كمال الإيمان بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره، ففي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» [متفق عليه].

٣- أن في محبته صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه - وهي من ذكر الله - تفريجًا للهموم، وصلاحًا للبال، وغفرانًا للذنوب، وتكفيرًا للسيئات، قال الله تعالى: « وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ » [محمد: ٢].

٤- أن من أحبه كان أولى الناس به، كما قال صلى الله عليه وسلم لمن أحبه وأعدَّ هذا الحب ليوم القيامة: «أنت مع من أحببت» [متفق عليه].

اللهم ارزقنا محبته والتزام سنته، واجمعنا به في جنات النعيم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أسباب المغفرة

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحَمْدُ للَّه والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فإن الله سبحانة غفور يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب إليه وأناب. قال الله تعالى: «وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ» «آل عمران:١٣٣:١٣٦».

الملائكة تطلب المغفرة للمؤمنين:

قال سبحانه: «ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ» «غافر:٧».

روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ الَّذِي صَلَّى فيه، مَا لَمْ يُحْدِثْ «ينتقض وضوؤه»، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ. «البخاري حديث:٤٤٥/مسلم حديث:٦٤٩».

الأنبياء يسألون الله المغفرة:

«١» نوح صلى الله عليه وسلم: قال سبحانه: «قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ» «هود٤٦:٤٧».

«٢» إبراهيم صلى الله عليه وسلم: قال سبحانه عن إبراهيم: «ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ» «الشعراء ٧٨:٨٢».

«٣» داود صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: «وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ» «ص:٢٤:٢٥».

«٤» سليمان صلى الله عليه وسلم:

قال سبحانه: قال تعالى: «وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ» «ص:٣٤:٣٥»

«٥» نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

عَنْ عبدِ الله بْنِ عُمَرَ قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِد مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. «صحيح أبي داود للألباني حديث: ١٣٤٢».

نبينا صلى الله عليه وسلم يحثنا على طلب المغفرة:

«١» عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لك عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً. «صحيح الترمذي للألباني حديث: ٢٨٠٥».

أسباب مغفرة الذنوب:

«١» إسباغ الوضوء:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنْ الذُّنُوبِ. «مسلم حديث ٢٤٤»

ب- روى مسلمٌ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ. «مسلم حديث:٢٤٥»

«٢» الأذان للصلوات المفروضة:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ، وَالْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَّ صَوْتِهِ، وَيُصَدِّقُهُ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّى مَعَهُ» «صحيح

الجامع للألباني حديث: ١٨٤١».

«٣» ترديد الأذان:

عَنْ سَعْد بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ» «مسلم حديث: ٣٨٦».

«٤» الذهاب إلى المساجد وانتظار الصلاة:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً. «مسلم حديث:٦٦٦».

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ. «مسلم حديث:٢٥١».

ج- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ، لاَ يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ «يرجع» إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ الصَّلاَةُ.» «البخاري حديث: ٦٥٩ /مسلم حديث:٦٤٩».

«٥» إقامة الصلاة:

عن عثمان بن عفان قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ. «مسلم حديث ٢٢٨».

«٦» موافقة المصلي لتامين الملائكة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِذَا قَالَ الإِمَامُ: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ» «الفاتحة: ٧» فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. «البخاري حديث: ٧٨٢/ مسلم حديث: ٤١٠».

«٧» موافقة المصلي للحمد مع الملائكة عقب الرفع من الركوع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِذَا قَالَ الإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. «البخاري: حديث ٧٩٦ /مسلم حديث: ٤٠٩».

«٨» الأذكار عقب الصلوات المفروضة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ. «مسلم حديث: ٥٩٧».

«٩» قيام الليل:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الباهلي، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ» «صحيح الترمذي للألباني حديث:٢٨١٤».

«١٠» تلاوة القرآن الكريم:

قال اللهُ تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ » «فطر:٢٩-٣٠».

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مسعود قَالَ: تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يُكْتَبُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَيُكَفِّرُ بِهِ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، أَمَا إِنِّي لاَ أَقُولُ: «الٓمٓ» «البقرة: ١» وَلَكِنْ أَقُولُ: أَلِفٌ عَشْرٌ، وَلاَمٌ عَشْرٌ، وَمِيمٌ عَشْرٌ. «إسناده حسن» «مصنف ابن أبي شيبة ج١٠ ص١٠».

«١١» التوبة الصادقة:

معنى التوبة:

التَّوْبةُ الرُّجُوعُ مِن الذَّنْب، وأَصلُ تابَ: عادَ إِلى الله ورَجَعَ. «لسان العرب لابن منظور جـ ١ صـ ٤٥٤».

قال تعالى:« فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » «المائدة:٣٩».

وقال سبحانه:« وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ » «الأعراف:١٥٣».

نبينا صلى الله عليه وسلم يحثنا على التوبة الصادقة:

أ- عن عبد الله بْنِ عُمَرَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ. «مسلم حديث: ٢٧٠٢».

ب- عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشعري عَنْ النَّبِيِّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ و جَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا. «مسلم حديث ٢٧٥٩».

«١٢» خشية الله في السر والعلانية:

قال تعالى:« إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ » «يس:١١».

وقال سبحانه:« إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ » «الملك:١٢».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله

عليه وسلم قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِه فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيه: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّه لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِه ذَلِك، فَأَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ. «البخاري حديث: ٣٤٨١/مسلم حديث: ٢٧٥٦».

«١٣» الصلاة على نبينا صلى الله عليه وسلم:

عن أَنَس بْنِ مَالِك قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه: صلى الله عليه وسلم مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ. «صحيح النسائي للألباني جـ١ صـ٤١٥»

«١٤» الدعاء في ثلث الليل الآخر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ. «البخاري حديث ١١٤٥ / مسلم حديث ٧٥٨».

«١٥» الدعاء عند القلق من النوم:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ تَعَارَّ «استيقظ» مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّه، وَسُبْحَانَ اللَّه، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ. «البخاري حديث: ١١٥٤»

«١٦» دعاء كفارة المجلس:

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْدِه، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَقَالَهَا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ كَانَتْ كَالطَّابَعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ لَغْوٍ كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ. «صحيح الجامع للألباني حديث ٦٤٣٠»

«١٧» دعاء الصالحين:

عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ «الجماعة الغزاة» سَأَلَهُمْ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَقُولُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّه لَأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ، فَاسْتَغْفِرْ لِي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ الْكُوفَةَ. قَالَ أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ «ضعاف الناس» أَحَبُّ إِلَيَّ. «مسلم حديث ٢٥٤٢»

«١٨» صوم شهر رمضان وقيامه:

أ- عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه. «البخاري حديث ١٩٠١ / مسلم حديث ٧٦٠».

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه. «البخاري حديث ٢٠٠٩ / مسلم حديث ٧٥٩».

«١٩» صوم التطوع:

عن أبي قتادة قال: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ: يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ. قَالَ: وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ. «مسلم حديث ١١٦٢».

«٢٠» أداء مناسك الحج والعمرة:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. «البخاري حديث ١٥٢١ / مسلم حديث ١٣٥٠».

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ. «البخاري حديث ١٧٧٣ / مسلم حديث ١٣٤٩».

«٢١» التطوع بالطواف حول الكعبة:

عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ أُسْبُوعًا «سبعة أشواط» فَأَحْصَاهُ كَانَ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ، لَا يَضَعُ قَدَمًا وَلَا يَرْفَعُ أُخْرَى إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطِيئَةً وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً» «صحيح الترمذي للألباني حديث ٧٦٦».

«٢٢» الأذكار الصحيحة المشروعة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْدِه، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ. «البخاري حديث: ٦٤٠٥/مسلم حديث: ٢٦٩١».

«٢٣» حضور مجالس الصالحين:

عَنْ سَهْلِ بْنِ حَنْظَلَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ، فَيَقُومُونَ حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ قُومُوا، قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ» «صحيح الجامع

للألباني حديث ٥٦١٠».

«٢٤» الصبر على البلاء:

قال الله تعالى: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» [الأحزاب: ٣٥].

«١» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ «تعب» وَلاَ وَصَبٍ «وجع» وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ. «البخاري حديث ٥٦٤١/مسلم حديث ٢٥٧٣».

«٢» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَا يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ. «صحيح الترمذي للألباني حديث ١٩٥٧»

«٢٥» المصافحة عند اللقاء:

عَنْ الْبَرَاءِ بن عزب قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا. «صحيح أبي داود للألباني حديث ٤٣٤٣».

فائدة مهمة: يحرم على المسلم مصافحة النساء من غير المحارم.

«٢٦» الجهاد في سبيل الله:

قال تعالى: «لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا × دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» «النساء: ٩٥: ٩٦».

«٢٧» الشهادة في سبيل الله:

قال الله تعالى: «وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» [آل عمران: ١٥٧].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلاَّ الدَّيْنَ. «مسلم حديث ١٨٨٦».

«٢٨» الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْفِتْنَةِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ، قَالَ: هَاتِ، إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ «الاختبار وما يترتب عليه من المعاصي» فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ». «البخاري حديث ٣٥٨٦ / مسلم حديث ١٤٤».

«٢٩» العفو عن الناس:

قال سبحانه: «وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» «النور: ٢٢»

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ. «البخاري حديث ٢٠٧٨ / مسلم حديث ١٥٦٢»

«٣٠» الصدقات:

قال الله تعالى: «إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ» «التغابن: ١٧»

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ. «صحيح الترمذي للألباني حديث: ٥٠١».

«٣١» إقامة الحدود:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى الله، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ» «البخاري حديث ١٨ / مسلم حديث ١٧٠٩».

«٣٢» الرحمة بالحيوانات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» «البخاري حديث ٢٣٦٣ / مسلم حديث ٢٢٤٤».

والحمدُ لله ربِّ العالمين.

درر البحار من ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة الثانية

إعداد / علي حشيش

١٠- «يس لما قُرِئَتْ له».

الحكم: «لا أصل له». هكذا قال السخاوي في «المقاصد» حديث (١٣٤٢) ووافقه القاري في «المصنوع» حديث (٤١٤).

١١- «اختلافُ أمتي رَحْمَةٌ».

الحكم: «لا أصل له»: نقل المناويُّ عن السبكي أنه قال: «وليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع، وأقره الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقه على تفسير البيضاوي، وأقره من المعاصرين الشيخ الألباني».

١٢- «إذا سألتم الله، فاسألوه بجاهي؛ فإنَّ جاهي عند الله عظيمٌ».

الحكم: «لا أصل له». قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣١٩/١، ٣٤٦) (٣٣٥/٢٤)، (١٢٦/٢٧)، وقال: «وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولا ذكره أحدٌ من أهل العلم بالحديث».

فائدة: يعني قولهم: «هذا الحديث لا أصل له» قال ابن تيمية معناه: «ليس له إسناد». أورده السيوطي في «تدريب الراوي» (٢٩٧/١).

١٣- « إذا رَفَعَ أحدُكُم يديْه يدْعُو، فإنَّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ جَاعِلٌ فِيهِمَا بَرَكَةً وَرَحْمَةً، فإذا فَرَغَ مِنْ دُعَائِه فَلْيَمْسَحْ بِهِمَا وَجْهَهُ ».

الحكم: «الحديث لا يصح»: أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٢١٤)، وفيه إبراهيم بن يزيد وهو الخوزي المتروك المتهم بالكذب، وفي السند سقط؛ حيث رفعه الوليد بن عبد الله وهو ابن أبي مغيث إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يروي إلا عن طبقة التابعين، فالحديث معضل، فالحديث واه جدًا.

١٤- «أشرافُ أُمَّتي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ وَأَصْحَابُ اللَّيْلِ».

الحكم: «الحديث لا يصح». أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٥/٢) (ح١٢٦٦٢)، وابن عدي في «الكامل» (٣٥٨/٣) (٥٨/٧)، والبيهقي في «الشعب» (ح٢٧٠٣)، والخطيب في «التاريخ» (٣٤٧/٤) (٩/٨) من حديث ابن عباس وفيه الراسبي الكذاب، فالحديث موضوع.

١٥- «مَنْ عَيَّرَ أخاه بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَفْعَلَه».

الحكم: الحديث لا يصح. أخرجه الترمذي (ح٢٥٠٥)، والطبراني في «الأوسط» (ح٧٢٤٤)، وابن عدي في «الكامل» (١٧٣١٦)، والخطيب في «التاريخ» (١٤٢/٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٧٥/٢) من حديث معاذ بن جبل، وأورده الذهبي في

«الميزان» (٣/٥١٤/٧٣٨٢) من منكرات محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني الكوفي الكذاب، كذبه يحيى بن معين وأبو داود، فالحديث موضوع.

١٦- « أَوْحَى اللهُ إلى الدُّنْيَا أَنِ اخْدِمِي مَنْ خَدَمَنِي، وَأَتْعِبِي مَنْ خَدَمَكِ».

الحكم: «الحديث لا يصح». أخرجه الخطيب في «التاريخ» (٨/٤٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/٣٢٣) من حديث أبي مسعود مرفوعًا وفيه: الحسين بن داود بن معاذ البلخي قال الخطيب: «ليس بثقة حديثه موضوع».

١٧- « أَيُّمَا امْرَأَةٍ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ ».

الحكم: «الحديث لا يصح»: أخرجه الترمذي (ح١١٦١)، وابن ماجه (١٨٥٤)، والحاكم (٤/١٧٣)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (ح١٠٣٩)، والبيهقي في «الشعب» (ح٨٧٤٤) من طريق مُساور الحميري عن أمه عن أم سلمة مرفوعًا، قال الذهبي في «الميزان» (٤/٩٥/٨٤٤٧): «فيه جهالة والخبر منكر». اهـ.

١٨- « تزَوَّجُوا وَلا تُطلِّقُوا فَإِنَّ الطَّلاقَ يَهْتَزُّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ».

الحكم: «الحديث لا يصح»: أخرجه الخطيب في «التاريخ» (١٢/١٨٧)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/١٥٧)، وابن عدي في «الكامل» (٥/١٢)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/١٨١) من حديث علي بن أبي طالب مرفوعًا، وفيه: عمرو بن جميع، قال الذهبي في «الميزان» (٣/٢٥١/٦٣٤٥) كذبه ابن معين، وقال ابن عدي: كان يُتَّهَم بالوضع، وقال الدارقطني وجماعة: متروك، كذلك وفيه جويبر بن سعيد صاحب الضحاك متروك، فالحديث موضوع.

١٩- «نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَمْشِيَ الرَّجُلُ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ».

الحكم: «الحديث لا يصح»: أخرجه أبو داود (ح٥٢٦٤)، وابن عدي (٣/٩٥٥)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/٣٣) من طريق داود بن أبي صالح المزني عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا، وأورده الذهبي في «الميزان» (٢/٩/٢٦١٦)، وجعله من مناكير داود بن أبي صالح، ونقل عن البخاري قال: لا يُتابع عليه، وقال أبو زُرعة: لا أعرفه إلا بهذا الحديث وهو منكر، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات. اهـ. فالحديث منكر.

٢٠- «مَنْ قَرَأَ حم الْمُؤْمِنَ إِلَى إِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَرَأَ بِهِمَا حِينَ يُمْسِي حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُصْبِحَ».

الحكم: «الحديث لا يصح». أخرجه الترمذي (ح٢٨٧٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وفيه عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، قال البخاري: ذاهب الحديث، وقال أحمد: منكر الحديث. وقال النسائي: متروك فالحديث: منكر.

٢١- «مَنْ قَرَأَ حم الدُّخَانِ فِي لَيْلَةٍ أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ».

الحكم: الحديث لا يصح: أخرجه الترمذي (ح٢٨٨) من حديث أبي هريرة، وفيه عمر بن أبي خثعم وهَّاهُ أبو زُرعة، وقال البخاري: منكر الحديث ذاهب، فالحديث موضوع.

قال الذهبي في «الميزان» (٣/٢١١/٦١٥٧): هو عمر بن عبد الله بن أبي خعثم يُنْسَب إلى جده.



دراسات قرآنية

القرآن شرف للعرب خاصة وللأمة عامة

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد قال الله تعالى عن القرآن: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ» [النحل: ١٠٣].

وقال تعالى: «وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ» [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥].

وقوله تعالى: «وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا» [الأحقاف: ١٢].

فهذه الآيات السابقة ذكرت أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، فآية النحل «لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ» [النحل: ١٠٣] أي القرآن، أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني إسرائيل، كيف يتعلم من رجل أعجمي، ويقصدون بالرجل الأعجمي غلام الفاكه بن المغيرة واسمه جبر وكان نصرانيًا روميًا من صقلية، يصنع السيوف، فأسلم، فرد الله عليهم بأن لغة الذي يميلون وينسبون أو يشيرون إليه أعجمية، وهذا القرآن بلغة عربية ذات بيانٍ وفصاحة، فكيف تزعمون أن عربيًا يعلّمه أعجمي غير عربي؟!. [انظر الموسوعة القرآنية الميسرة ص٢٨٠، وتفسير مختصر ابن كثير ٢/٤٣٦].

أما آية الشعراء: «وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [الشعراء: ١٩٢] فالذي أنزله فاطر السماوات والأرض المربي جميع العالم، العلوي والسفلي، وكما أنه رباهم بهدايتهم لمصالح دنياهم وأبدانهم، فإنه يربيهم أيضًا بهدايتهم لمصالح دنياهم وأخراهم. ومن أعظم ما رباهم به إنزال هذا الكتاب الكريم الذي نزل به جبريل عليه السلام الذي هو أفضل الملائكة وأقواهم (الأمين) الذي قد أُمن أن يزيد فيه أو ينقص على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم «بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ» [الشعراء: ١٩٥]، وهو أفضل الألسنة، بلغة من بُعث إليهم، وباشر دعوتهم أصلاً، اللسان

البين الواضح.
وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بَضْعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها وأوسعها، وهو اللسان العربي المبين. [تيسير الكريم الرحمن ص٥٩٧].
أما آية الأحقاف «وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا» [الأحقاف: ١٢] أي: وهذا القرآن مصدّق لما قبله من الكُتب الإلهية حال كونه بلسان العرب الفصيح ليحذر بها القرآن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وهم مشركو مكة ويبشر المؤمنين المحسنين بالجنة. [الموسوعة القرآنية الميسرة].
لقد كان العرب يعيشون في جاهلية جهلاء؛ حيث عمَّهم الفساد من نواح شتى في العقيدة والعبادة والأحكام والسلوك والنظم الاجتماعية، فانتقل بهم القرآن من أمة بلغت من التخلف والجهل والسُّوء أقصاه إلى أمة تسنمت ذروة المجد والكمال، فكانت خير أمة أخرجت للناس فاعتزوا وسادوا على جميع الأمم.
لقد تكفل الله تعالى بحفظ لغة العرب وذلك بحفظ القرآن الذي نزل بلغتهم، قال الله تعالى: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ» [الحجر: ٩]. فباللغة العربية نزل القرآن الكريم، وبها تكلم الصحابة رضوان الله عليهم ودُوِّن التراث العربي الضخم، وبنزول القرآن الكريم ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم أصبحت لغة لجميع المسلمين، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومعلوم أن تعلم العربية، وتعليم العربية فرض على الكفاية، وكان السلف يؤدبون أولادهم عن اللحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي، ونصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة، والاقتداء بالعرب في خطابها». [مجموع الفتاوى ٣٢/٢٥٢].
فللقرآن العظيم أكبر الفضل على العرب خاصة في نَيْل هذه المنقبة وبلوغ هذه المرتبة، فقد حفظ كيانهم ووجودهم حين حفظ لغتهم، ولولا فضل الله تعالى على العرب بالقرآن لبادوا كما بادت أمم كثيرة.
بل مدَّ القرآن العظيم سلطان العربية إلى حيث بلغ في مناطق الدنيا كآسيا وإفريقيا وأوربا (الأندلس) وغيرها، فأصبحت اللغةُ العربية لغة الحضارة والمدنية، وأصبح كلُّ مسلم يشعر أن العربية لغته؛ إذ إنَّ القرآن قد نزل بها.
فالقرآن الكريم إذن هو أعظم وسيلة لتعريب الشعوب الأعجمية، ولنشر أفكار المسلمين وثقافتهم بين مئات الملايين من الناس غير العرب.
والمسلمون - ولاسيما العربُ منهم - مدعوون في الوقت الحاضر لإنقاذ العالم بقرآنهم العظيم من تكالب الأحزاب المادية المتصارعة لاستذلاله ونهب خيراته، كما أنقذوه بالأمس من سيطرة الإمبراطوريات الطبقية. [انظر: من أسرار عظمة القرآن، د. سليمان بن محمد الصغيرِ ص١١].
وقد وردت ثلاث آيات تدل صراحة على أن القرآن شرف وفخر للعرب خاصة وللأمة عامة، وهي على النحو التالي:
١- قول الله تعالى: « وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ » [الزخرف: ٤٤]، قال القرطبي رحمه الله: «يعني القرآن شرف لك ولقومك قريش؛ إذ نزل بلغتهم على رجل منهم، ونظيره: «لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ» [الأنبياء: ١٠] أي: شرفكم. فالقرآن نزل بلسان قريش وإياهم خاطب، فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم، وكل من آمن بذلك فصاروا عيالاً عليهم، لأن أهل كل لغة احتاجوا إلى أن يأخذوه من لغتهم حتى يقفوا على المعنى الذي عنى به من الأمر والنهي وجميع ما فيه من الأنباء، فشرفوا بذلك على سائر أهل اللغات، ولذلك سُمِّي عربيًا».
وقال ابن كثير في الآية « وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ » [الزخرف: ٤٤] قيل: معناه شرف لك ولقومك. قاله ابن عباس رضي الله عنه.
ونص الآية - كما ذكر المفسرون - يحتمل أحد مدلولين:
١- أن القرآن تذكير للنبي صلى الله عليه

وسلم ولقومه وسيُسألون عنه يوم القيامة، فلا حجَّة لهم بعد التذكير.

٢- القرآن يرفع ذكرك وذكر قومك. وهذا ما حدث حقًا. فأما رفعُه لذكره صلى الله عليه وسلم فإن مئات الملايين من ألسن المؤمنين تلهج بالصلاة والسلام عليه، وتذكره ذكر المحب المشتاق آناء الليل وأطراف النهار منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، ومئات الملايين من القلوب تخفق بحبه منذ ذلك الزمن البعيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وأما رفعه لذكر قومه فقد جاءهم هذا القرآن والناس لا يعبأون بهم بل يزدرونهم ويعدونهم من سقط المتاع، فجعل لهم دورهم الأكبر في تاريخ هذه البشرية، فقد واجهوا به الدنيا فعرفتهم ودانت لهم طوال الزمن الذي استمسكوا فيه به. [ظلال القرآن ٦/٣١٩١].

٢- قوله تعالى: «لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» [الأنبياء: ١٠].

فقوله تعالى: «فِيهِ ذِكْرُكُمْ» [الأنبياء: ١٠] أي: شرفكم وفخركم، وارتفاعكم، فإذا امتثلتم ما فيه من الأوامر، واجتنبتم ما فيه من النواهي، ارتفع قدركم وعظم أمركم. قال السعدي في تفسيره: قوله تعالى: «لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ» [الأنبياء: ١٠] أي: شرفكم وفخركم وارتفاعكم، إن تذكرتم به ما فيه من الأخبار الصادقة فاعتقدتموها، وامتثلتم ما فيه من الأوامر، واجتنبتم ما فيه من النواهي ارتفع قدركم، وعظم أمركم «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» [الأنبياء: ١٠] ما ينفعكم وما يضركم؟ كيف لا ترضون ولا تعملون على ما فيه ذكركم وشرفكم في الدنيا والآخرة، فلو كان لكم عقل، لسلكتم هذا السبيل، فكما لم تسلكوه، وسلكتم غيره من الطرق، التي فيها ضعتكم وخستكم في الدنيا والآخرة وشقاوتكم فيها علم أنه ليس لكم معقول صحيح ولا رأي رجيح.

وهذه الآية، مصداقها ما وقع، فإن المؤمنين بالرسول، الذين آمنوا بالقرآن وعملوا به من الصحابة فمن بعدهم، حصل لهم من الرفعة والعلو الباهر، والصيت العظيم والشرف على الملوك، ما هو أمر معلوم لكل أحد، كما أنه معلوم ما حصل لمن لم يرفع بهذا القرآن رأسًا، ولم يهتد به من المقت والضعة والتدسية والشقاوة، فلا سبيل إلى سعادة الدنيا والآخرة إلا بالتذكرة بهذا الكتاب.

ولقد كان ذكر العرب ومجدهم بالقرآن حين حملوا رسالته فشرقوا به وغربوا، فلم يكن لهم ذكر قبله.

ولا يملك العربُ من زاد يقدمونه للبشرية سوى هذا الزاد، ولا يملكون من منهج يقدمونه للإنسانية سوى هذا المنهج، فالبشرية لم تعرفهم إلا بكتابهم وعقيدتهم وسلوكهم المستمد من ذلك الكتاب وهذه العقيدة، لم تعرفهم لأنهم عرب فحسب، فذلك لا يساوي شيئًا في تاريخ البشرية.

٣- قوله تعالى: «صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ» [ص: ١]. قال السعدي رحمه الله: «أي: ذي القدر العظيم، والشرف، المذكر للعباد، كل ما يحتاجون إليه من العلم، بأسماء الله وأفعاله، ومن العلم بأحكام الله الشرعية، ومن العلم، بأحكام المعاد والجزاء، فهو مذكر لهم في أصول دينهم وفروعه».

وهنا لا يُحتاج إلى ذكر المقسم عليه، فإن حقيقة الأمر، أن المقسم به وعليه شيء واحد، وهو: هذا القرآن، الموصوف بهذا الوصف الجليل، فإذا كان القرآن بهذا الوصف، عُلِمَ أن ضرورة العباد إليه فوق كل ضرورة.

بعد هذا كله فماذا عسانا أن نقول في فضل كتاب أنقذ الله به أمة من جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، دأبهم السَّلب والنهب، ومعبودهم الأوثان والحجارة، ودينهم توارث العداوات والأحقاد، فجعلهم الله به خير أمة أخرجت للناس.

لقد أراد الله تعالى أن يكون القرآن كتابًا مخاطبًا به كلَّ الأمم في جميع العصور، لذلك جعله بلغة هي أفصحُ كلام بين لغات البشر وهي اللغة العربية، وأصبحت اللغة العربية لغة الحضارة والمدنية.

إذًا فللقرآن الكريم أكبر الفضل على العرب فقد حفظ كيانهم ووجودهم حين حفظ لغتهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أثر السياق في فهم النص

إعداد / متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

ذكرنا في الأعداد السابقة ثلاثة عناصر من طرق معرفة المقاصد، وهي: مجرد الأمر والنهي الابتدائي التصريحي، اعتبار علل الأمر والنهي، اعتبار المقاصد التابعة، ونستأنف البحث:

رابعًا: سكوت الشارع:

وهو ثلاثة أنواع: النوع الأول: السكوت لعدم وجود المقتضي الداعي للتشريع، فالشارع قد يسكت عن أمور وعن أحكام، لعدم توفر أسبابها ونوازلها، وهو ما فتح لأجله باب الاجتهاد والقياس وغير ذلك.

كالنوازل التي حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنها لم تكن موجودة وسكت عنها مع وجودها، وإنما حدثت بعد ذلك، فاحتاج أهل الشريعة إلى النظر فيها وإجرائها على ما تقرر في كلياتها.

مثال: ترك قتال مانعي الزكاة: فلم يوجد سبب يقتضي هذا الفعل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أنه لم يوجد في عصره صلى الله عليه وسلم المرتدون الذين منعوا الزكاة، فلما قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه، لم يكن هنا مخالفا للتشريع.

وما أحدثه السلف الصالح راجع إلى هذا القسم: كجمع المصحف، وتدوين العلم، وتضمين الصناع (وهو ضمان الصانع لما تحت يديه من خامات وأمتعة إذا تلفت)، وما أشبه ذلك، مما لم يجر له ذكر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تكن من نوازل زمانه، ولا عرض للعمل بها موجب يقتضيها.

وهذا القسم جارية فروعه على الأصول المقررة شرعًا بلا إشكال.

النوع الثاني: السكوت مع وجود السبب المقتضي: وذلك أن يسكت عنه وموجبه المقتضي له قائم، فلم يُقرر فيه حكم عند نزول النازلة زائدة على ما كان في ذلك الزمان، فهذا الضرب (النوع)، السكوت فيه كالنص، على أن قصد الشارع أن لا يزاد فيه ولا ينقص؛ لأنه لما كان المقتضي موجودًا لتشريع الحكم، ثم لم يشرع الحكم، كان ذلك صريحًا في أن الزائد على ذلك بدعة، ومخالفة لما قصده الشارع.

مثال: عدم تشريع الأذان لصلاة العيدين:

فالمقتضي موجود في زمن التشريع، وهو صلاة العيدين، ومع ذلك لم يشرع المشرّع الأذان لها، كالصلوات المكتوبات، فدل ذلك على أن عدم الأذان للعيدين هو السنة، والأذان لهما، كما فعل بعض الأمراء، من البدع.

مثال ثان: نكاح المحلل:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: كنت عند رفاعة، فطلقني، فبتَّ طلاقي، (أي طلقها ثلاث تطليقات)، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير وإنما معه مثل هدبة الثوب، فقال: « أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك». [متفق عليه].

فالمعنى المقتضي موجود: وهو التخفيف والترخيص للزوجين بإجازة التحليل (وهو أن يعقد عليها باتفاق حتى تحل لزوجها الأول) ليرجعا كما كانا أول مرة.

وأنه لما لم يشرع ذلك، مع حرص امرأة رفاعة على الرجوع إلى زوجها، فدل ذلك على أن زواج التحليل ليس بمشروع لها أو لغيرها.

فوجود المعنى المقتضي مع عدم التشريع دليل على قصد الشارع إلى عدم الزيادة.

وقد استدل شيخ الإسلام ابن تيمية على بدعية زواج التحليل بذلك، أي بترك النبي صلى الله عليه وسلم مع وجود المقتضي.

فقال: وقد كان يمكن النبي صلى الله عليه وسلم

أن يقول لبعض المسلمين حلّل هذه لزوجها، فلما لم يأمر هو ولا أحدٌ من خلفائه بشيء من ذلك مع مسيس الحاجة إليه عُلم أن هذا لا سبيل إليه، وأن هذا من أمر به فقد تقدم بين يدي الله ورسوله. [الفتاوى الكبرى ٢٤٢/٦].

النوع الثالث: السكوت مع وجود السبب المقتضي، وذلك لوجود مانع من الموانع.

مثال ذلك: التجميع لصلاة التراويح في رمضان:

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يشرّعها، مع وجود مقتضيها، وهو فضل قيامها، وعظيم ثوابها، مع الإمام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة، ثم يقول: من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه. [متفق عليه].

لكن كان يوجد مانع: وهو خشية النبي صلى الله عليه وسلم أن تُفرض على الأمة، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يقم بنا شيئًا من الشهر حتى بقي سبع فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، فلما كانت السادسة لم يقم بنا، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل، فقلت: يا رسول الله، لو نفلتنا قيام هذه الليلة. قال: فقال: إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حُسب له قيام الليلة، قال: فلما كان الرابعة لم يقم، فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح. قال: قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور. ثم لم يقم بنا بقية الشهر. [صحيح أبي داود وغيره].

فلما انتفى مانع خشية أن تُفرض التراويح على الأمة، عاد عمر رضي الله عنه إلى تجميع صلاة التراويح، ولم يكن هنا مخالفًا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

- وسكوت الشارع وتركه للتشريع في وقت التشريع، مبني على المقدمات التالية:

المقدمة الأولى: كمال الشريعة واستغناؤها عن زيادات المبتدعين واستدراكات المستدركين، فقد أتم الله عز وجل دينه ورضيه لنا، قال الله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة: ٣].

وفي الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «.. وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء». [صحيح سنن ابن ماجه].

المقدمة الثانية: بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الدين وقيامه بواجب التبليغ خير قيام، فلم يترك النبي صلى الله عليه وسلم أمرًا صغيرًا كان أو كبيرًا من أمور هذا الدين إلا وبلغه للأمة، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ» [المائدة: ٦٧].

وفي حديث أبي بكرة رضي الله عنه - في حجة الوداع - فإن النبي صلى الله عليه وسلم، بعد أن خطب خطبة جامعة، استشهد الأمة، فقال مخاطبًا إياهم: «ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم. قال: اللهم فاشهد. [متفق عليه].

وقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ومن حدثكم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كتم شيئًا أُمر بتبليغه فقد أعظم على الله الفرية. ثم تلت الآية: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» [المائدة: ٦٧]. (متفق عليه).

وفي رواية لمسلم: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتمًا شيئًا أُمر بتبليغه لكتم قوله تعالى: «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ» [الأحزاب: ٣٧].

المقدمة الثالثة: حفظ الله تعالى لهذا الدين وصيانته من الضياع والتبديل والتغيير، قال الله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر: ٩]. والحفظ يشمل القرآن والسنة، فقد قال الله تعالى: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» [النحل: ٤٤].

فبيان النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن (الذكر) كان بالسنة، فحفظ السنة من حفظ القرآن، فكلاهما تشريع، ووحي من عند الله تعالى، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا إني أوتيت الكتاب (القرآن) ومثله معه..» (صحيح سنن أبي داود وغيره).

وهذا المسلك من

طرق معرفة المقاصد يتعلق - بصفة خاصة - بمجال العبادات، وبصفة أخص بمجال الابتداع في الدين وعباداته، حيث يُراد بذلك ضرب البدع، وإغلاق الباب أمام زحفها على العبادات وحدودها وسننها.

لذا فإن العلماء بحثوا في مسألة سكوت الشارع، وجعلوا ترك النبي صلى الله عليه وسلم أصلاً عظيمًا وقاعدة جليلة به تُحفظ أحكام الشريعة ويُوصَد به باب الابتداع في الدين.

يقول ابن القيم: «... فإن تركه صلى الله عليه وسلم سُنَّة، كما أن فعله سُنَّة، فإذا استحببنا فعل ما تركه كان نظير استحبابنا ترك ما فعله، ولا فرق. فإن قيل: من أين لكم أنه لم يفعله، وعدم النقل لا يستلزم نقل العدم؟ فهذا سؤال بعيد جدًا عن معرفة هديه وسنته، وما كان عليه...». [إعلام الموقعين ٢/٢٨١].

فترك النبي صلى الله عليه وسلم نوعان بالنسبة لنقل الصحابة رضي الله عنهم:

النوع الأول: التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم ترك كذا، ولم يفعله، كقول الصحابي في صلاة العيد: صلى العيد بلا أذان ولا إقامة.

النوع الثاني: عدم نقل الصحابة للفعل، الذي لو فعله النبي صلى الله عليه وسلم لتوفرت هِمَمُهُم ودواعيهم، أو أكثرهم، أو على الأقل واحد منهم على نقله للأمة، بحيث لم ينقله واحد منهم ألبتة، ولا حدّث به في مجمع أبدًا، فعلم أنه لم يكن، وإضافة إلى حرصهم على نقل كل ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أُمروا بالتبليغ كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «نضَّر الله امرأ سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه، فرُب مبلغ أوعى له من سامع». [صحيح سنن الترمذي وغيره].

ومثال ذلك ترك النبي صلى الله عليه وسلم التلفظ بالنية عند دخول الصلاة، وتركه الدعاء بعد الصلاة مستقبلاً المأمومين وهم يؤمنون على دعائه. ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ الزكاة من الخضر والبقول، مع عموم قوله صلى الله عليه وسلم كما بحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريًا العشر، وما سُقي بالنضح نصف العشر». [البخاري].

فكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بأخذ الزكاة من الخُضر والبقول، دل ذلك على أن الترك هنا سنة.

العلاقة بين سكوت الشارع والبدعة:

هناك علاقة بين سكوت الشارع والبدعة، فالبدعة هي:

١- فعل ما سكت الشارع عن فعله:

كالدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلوات، وكسجود الشكر عند الإمام مالك.

[فائدة: ضرب الشاطبي المثال على هذا النوع من البدع بسجود الشكر عند الإمام مالك، لكن سجود الشكر ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم. فقد أخرج أبو داود في السنن: كتاب الجهاد، باب في سجود الشكر (ح٢٧٧٤)، والترمذي في «الجامع» أبواب السير: باب ما جاء في سجدة الشكر، وقال: «والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم رأوا سجدة الشكر». وابن ماجه في السنن كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر وغيرهم... من حديث أبي بكرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه أمر يُسرُّ به خرَّ ساجدًا. وقد حسنه الشيخ الألباني. وفي رواية: شكرًا لله تعالى... وبعد أن خرج الألباني الأحاديث والآثار في ذلك، قال: «وبالجملة، فلا يشك عاقل في مشروعية سجود الشكر بعد الوقوف على هذه الأحاديث، لاسيما وقد جرى العمل عليها من السلف الصالح، رضي الله عنهم». [إرواء الغليل ٢/٢٢٦- ٢٣٠].

٢- ترك ما أذن الشارع في فعله:

أ- كالصيام من ترك الكلام ونحوه، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مُروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه». [البخاري]. فالنبي صلى الله عليه وسلم نهاه أن يفعل ذلك على وجه العبادة.

ب- أو مجاهدة النفس بترك مأكولات معينة.

قال الله تعالى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» [الأعراف: ٣٢].

٣- أمر خارج عن النوعين السابقين:

كإيجاب شهرين متتابعين في الظهار لمن وجد الرقبة، وهذا مخالف للنص الشرعي فلا يصح بحال.

خامسًا: الاستقراء

(النوع الخامس من طرق معرفة المقاصد):

وهو من أهم الطرق لمعرفة المقاصد وإثباتها.

والاستقراء هو عبارة عن تصفح أمور جزئية لنحكم بمجملها على أمر يشمل تلك الجزئيات، كقولنا في الوتر: ليس بفرض، لأنه يؤدى على الراحلة (أينما توجهت)، والفرض لا يؤدى على الراحلة، فيقال: لم قلتم: إن الفرض لا يؤدى على الراحلة؟ فيقال: عرفناه بالاستقراء. [المستصفى للغزالي ٤١/١، المحصول للرازي ١٦١/٦].

أو يقال - مثلاً - أن أسباب التخفيف في الشريعة حسبما دل عليه الاستقراء سبعة، وهي: المرض، والسفر، والنسيان، والإكراه، والجهل، والحرج، وعموم البلوى.

فالاستقراء لا يثبت بدليل خاص، بل بأدلة يُضاف بعضها إلى بعض، مختلفة الأغراض بحيث ينتظم من مجموعها أمر واحد تجتمع عليه تلك الأدلة، على حد ما ثبت عند العامة: جود حاتم (الطائي)، وشجاعة علي رضي الله عنه، وما أشبه ذلك. [الموافقات ٨١/٢].

ومن ذلك: دخول النساء في الخطاب الموجه للذكور في الشرع: دليله الاستقراء، يقول ابن تيمية: «وقد عهدنا من الشارع في خطابه أنه يعمّ القسمين ويدخل النساء بطريق التغليب...» [الفتاوى ٤٣٧/٦].

وقد بيّن الشاطبي في «الموافقات» أهمية الاستقراء، خاصة في أصول الفقه فيقول: إن أصول الفقه (أي الأسس والكليات التي يبنى عليها) لابد أن تكون قطعية، ولا يقبل فيها الظن، والدليل على ذلك: «الاستقراء المفيد للقطع» لأن كليات الشريعة لا تستند إلى دليل واحد، بل إلى مجموعة أدلة، تواردت على معنى واحد، فأعطته صفة القطع، «وتخلف بعض الجزئيات عن مقتضى الكلي لا يخرجه عن كونه كليًا، وأيضا فإن الغالب الأكثري معتبر في الشريعة اعتبار العام القطعي». [نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ٢٨٤/١].

بل يربط الشاطبي بين الاستقراء والمقاصد في خطبة الكتاب وهو يذكر قصة وطريقة تأليف «الموافقات»... «لم أزل أقيد من أوابده، وأضم من شوارده، تفاصيل وجملاً». ثم يقول معتمدًا على الاستقراءات الكلية، غير مقتصر على الأفراد الجزئية... [الموافقات ٩/١].

ويقول: «والمعتمد إنما هو ما استقرينا من الشريعة أنها وُضعت لمصالح العباد». ثم بدأ في استقراء الأدلة (جمعها) ليدلل على أن الشريعة وُضعت لمصالح العباد في الدارين. [السابق ١٢/٢- ١٣].

أقسام الاستقراء: ينقسم الاستقراء إلى قسمين:

القسم الأول: استقراء تام: وهو الذي يشمل جميع الجزئيات، فهذا يفيد التعين كقولنا: كل حيوان يموت.

القسم الثاني: استقراء ناقص، وهو الذي يشمل أغلب وأكثر الجزئيات كقولنا: كل حيوان يحرك فكه الأسفل عند المضغ.

فهذه لا تشمل كل حيوان، فالتمساح مثلاً يحرك فكه الأعلى عند المضغ.

أما الاستقراء التام فقد اتفق العلماء على حجيته، لكونه يفيد القطع؛ حيث إنه ثبت عن طريق استقراء جميع الجزئيات.

وأما الاستقراء الناقص، فقد اختلف العلماء في حُجِّيَّته على مذهبين:

المذهب الأول: أنه حجة، وهو مذهب الجمهور، فالعمل بالظن الغالب واجب فقد أمرنا شرعًا بأن نعمل بما ظهر لنا ونكل أمر ما خفي عنا إلى الله، ونبني الحكم على الظاهر، ولا شك أن ما خفي عنا لم نستقرئه.

المذهب الثاني: أنه ليس بحجة، وهو مذهب فخر الدين الرازي وبعض العلماء. [المهذب في علم أصول الفقه د. عبد الكريم النملة ١٠٢٥/٣- ١٠٢٧].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

المذهب الوسطي لأبي الحسـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعدُ:

فمن الحقائق المسلَّم بها أن تصحيح العقيدة مما كدَّر صفوَها وأذهبَ صفاءها كان فيما مضى هو الشغل الشاغل لعلماء الأمة وعلى رأسهم إمام السنة (أحمد بن حنبل)، ثم تلاه وسار على نهجه (أبو الحسن الأشعري) الذي أحيا السنة وقمع - بما ختم به حياته - البدعة، فشاع أمره وذاع صيته، وأضحت مدرسته تمثل السواد الأعظم في عالمنا الإسلامي الحاضر والغابر، فمذهبه كما يقول تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٣٤٧/٣): «هو الذي عليه المعتبرون من علماء الإسلام، والمتميزون من المذاهب الأربعة، والقائمون بنصرة دين محمد صلى الله عليه وسلم».. كما أن من الثابت في تاريخ المسلمين، أن الأمة الإسلامية قد فتنت بعد عصر صدر الإسلام، وكان أحد وأهم أسباب فتنتها، هو: تخليها عما جاء به الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه صحابته الكرام في قضية صفات الخالق جل وعلا، وانقسامها إزاء هذه القضية إلى:

١- مؤولة: أرادوا صرف نصوص الوحي الخاصة بهذا الجانب المهم والخطير في عقيدة المسلمين عن ظاهرها، بدعوى تنزيهه تعالى عن مشابهة الحوادث.

٢- وأصحاب تخييل وتمثيل: وهم أولئك المعتقدون أن الرسل لم يفصحوا للخلق عن الحقائق حتى لا تنفر عقولهم.

٣- وأصحاب تشبيه وتجسيم: وهم من شبَّهوا صفات الخالق بصفات المخلوق، ومن ضربوا لله الأمثال بموجود عظيم جداً مستوٍ على سريره، ففهموا من صفات الله تعالى مثَّل ما للمخلوقين وظنوا ألا حقيقة لها إلا ذاك.

٤- وأصحاب تجهيل وهم أولئك المفوضة الذين قالوا: إن نصوص الصفات ألفاظ لا تُعقل معانيها ولا يُدرى ما أراد الله ورسوله منها، ظناً منهم أن هذه هي طريقة السلف.

على أن هذه الطوائف وأشباهها - من نحو الحلولية والاتحادية والمتعصبين لما عليه متأخرو الأشاعرة من المتأولة والمفوضة - لا تزال موجودة وتمثل حجر عثرة في طريق تحقيق وحدة المجتمع الإسلامي المعاصر، ولا بد من سعي دءوب يجمعها وأقرانها على كلمة سواء، ويستلزم هذا - مع السعي الدءوب - الأخذ بكل الأسباب التي يأتي على رأسها: الإحساس بخطورة الافتراق على هذه الأمور العقدية، والوعي التام بما استقر عليه الأشعري إمام المذهب، وتهيئة البيئة الملائمة لإقامة الحجة، ومن قبل كل ذا النية الخالصة لقبول الحق والوصول بالأمة إلى كلمة سواء.

وقد قيض الله - على مر الدهور والعصور - من يَرُدُّ هؤلاء جميعاً على أعقابهم، وكان على رأس هؤلاء الذين هداهم الله للحق وأناط بهم أداء هذه المهمة الجليلة واضطلع بدور بارز لرد عاديتهم، إمام المذهب وناصر السنة (أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل) ولاسيما في كتبه (رسالة إلى أهل الثغر) و(مقالات الإسلاميين) و(الإبانة).. حيث أثبت رحمه الله بالحجج العقلية والبراهين النقلية حقائق الأسماء والصفات بعد أن نفى عنها مماثلة الحوادث والمخلوقات.. فجاء مذهبه ومذهب من تأثروا به وأثر هو فيهم، هدًى بين ضلالتين، يثبتون لله الأسماء الحسنى والصفات العليا بحقائقها لكونها الثابتة له تعالى بطريق الوحي، وفي الوقت ذاته لا يكيفون ولا يؤولون شيئاً منها، إذ لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفياتها،

...ن الأشعري في توحيد الصفات

إعداد / أ.د. محمد محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

وأنى.. وهذه أرواحنا التي هي حقائق ثابتة فينا، وأدنى إلينا من كل دان، قد حُجب عنا معرفة كنهها وكيفيتها؟!.. وأنى ذلك ، وهذه هي القيامة وما يعقبها من جنة ونار، يُحكي لنا الوحي تفاصيلها، وقد قامت حقائقها في قلوب أهل الإيمان وشاهَدَتْهُ عقولهم، دون أن يعرفوا كنهها وحقيقتها.. وهي بعدُ، من مخلوقات الله تعالى؟!

وإنما كان الأمر في صفات الله كذلك، لأن الكلام عن الصفات - ببساطة شديدة - فرع الكلام عن الذات، فكما أن ذاته تعالى ليست كذوات الخلق فكذا صفاته.. وكما هو مشاهد فإن هذا المذهب هو الذي يمثل الوسطية والاعتدال، لكونه - كما ذكر الإمام الطحاوي الحنفي في آخر متن العقيدة المسماة باسمه - الوسط «بين التشبيه والتعطيل»، ولأنه سبحانه - على حد قول شارحه ابن أبي العز الحنفي ص٤٦٤ ط (دار ابن الهيثم) - «يُحِبُّ أن يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تشبيه ومن غير تعطيل، ونظير هذا القول، قوله- يعني الطحاوي-: (ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه)».

وفي تقرير هذا وبيان ما عليه أهل السنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح (١/ ٧) والصفدية (٢/ ٣١٣): «هم وسط في (باب الصفات)، بين أهل الجحد والتعطيل وبين أهل التشبيه والتمثيل، يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله، من غير تعطيل ولا تمثيل، إثباتاً لصفات الكمال وتنزيهاً له عن أن يكون له فيها أنداد وأمثال، إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل».

على أن هذا المذهب الوسطي الذي تبناه أبو الحسن الأشعري رحمه الله - وهو لنا فيه سلف ونحن له فيه بفضل الله تبع - هو معتقده الذي استقر عليه وانتهى إليه في نهاية حياته برؤيا صالحة وبإيعاز من النبي صلى الله عليه وسلم.. غير أنه لم يأخذ حظه من الشهرة التي أخذها مذهبه قبل الرجوع عنه ، فبعد انخلاعه عن مذهب المعتزلة الذي ظل عليه أربعين عاماً، راج عنه مذهبه الذي تأثر فيه ببعض أهل الكلام، وكان الأشعري فيه كأحدهم في قصر الصفات على سبع وتأويل ما عداها، إلى أن تبرأ من كل ذلك وانخلع منه بالكلية إلى نهج أحمد بن حنبل وغيره من علماء السلف، وظل رحمه الله ينافح عنه حتى لقي ربه، كذا نص عليه الحافظ ابن كثير ت ٧٧٤ في مخطوطة (طبقات الشافعية)، وقد نقله عنه تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى، كما نقله عنه السيد محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى الحنفي ت١١٤٥ في (إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين) ٢/ ٣، وحماد الأنصاري في مقدمته لكتاب (الإبانة) لأبي الحسن الأشعري ص١٢.

يقول الحافظ ابن كثير في طبقات الشافعية:
«ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

والحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة، وهي (الحياة) و(العلم) و(القدرة) و(الإرادة) و(السمع) و(البصر) و(الكلام)، وتأويل الخبرية كـ (الوجه) و(اليدين) و(القدم) و(الساق).. ونحو ذلك.

والحال الثالث: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه؛ جرياً على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخراً».

والخطير والغريب في الأمر، أن بدعة هؤلاء الذين

تصدى لهم أبو الحسن الأشعري وأجهد نفسه في ردها وردهم، والتي كانت سبباً عظيماً في فتنة المجتمع الإسلامي الأول ولا تزال، كان أول من أوقد نارها هو (الجهم بن صفوان) الذي وافق المعتزلة والكرَّامية في مسائل، منها نفي رؤية الله تعالى ونفي أسمائه وصفاته وعذاب القبر والصراط.. وكان الجهم ذا أدب ونظر وجدال ومراء، وكان السلف من أشد الناس رداً عليه هو و(مقاتل بن سليمان) بخراسان لأنهما كانا طرفي نقيض، أحدهما يبالغ في النفي والتعطيل، والآخر - وهو مقاتل - يسرف في الإثبات والتجسيم حتى أوصله هواه لأن يقول: (الله جسم ولحم ودم على صورة الإنسان) - تعالى الله عما قالاه علواً كبيراً - وكان الجهم قد ترك الصلاة أربعين يوماً، وقال: (إذا ثبت عندي من أعبده صليت له)، فأنكر عليه الوالي وضرب عنقه، وكان ذلك سنة ١٢٨هـ [ينظر مقالات الإسلاميين ص ٦٢٧ وغيره].

يقول ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٠٨ ط. دار ابن الهيثم): «وقد نفى الجهم ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه، من كلامه تعالى ورضاه وغضبه وحبه وبغضه ونحو ذلك.. كما نفى أولئك الصفات مطلقاً بقولهم: ليس محلاً للأعراض».. وكان سلف جهم وشيخه في هذا، هو: (الجعد بن درهم)، الذي أخذ بدعته في (خلق القرآن) عن (بيان بن سمعان)، وأخذها بيان عن (طالوت) ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت عن خاله (لبيد بن الأعصم) اليهودي الذي سحر النبي وأنزل الله في شفائه صلى الله عليه وسلم منه المعوذتين.

والأخطر والأغرب مما سبق، أنه وبعد أن قُوضت دعائم وحجج أولئك المبتدعة على يد من ذكرنا، نجد أنه ما تزال آثار نقع ما غبَّر به أولئك المبتدعة على عقيدتنا، باقية إلى يوم الناس هذا.. فكم من المحسوبين في زماننا على الإسلام، هم - وإن لم يشعروا - من المعطلة، وكم منهم من النفاة واللاأدرية - من يقول لما ثبت : لا أدري - وأهل التجهيل والتأويل والاتحادية والحلولية وأصحاب التخييل، وجميعهم ممن يبالغ في نفي وتعطيل ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات أو يحملها على غير وجهها، فما يكون أمام الواحد منهم - ولنفس السبب والعلة - إلا أن يقع منه بعض ما وقع للجهم، فيتأول آي الصفات التي أمر الشارع الحكيم بحملها على ظاهرها، ويذهب في معانيها إلى ما لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، وهذا سبيل تعطيلها وإن لم يقصد إلى ذلك.

ومن هنا كان المجتمع الإسلامي المعاصر في حاجة ماسة لنشر وإحياء جهود أبي الحسن الأشعري وسلف الأمة، في رد عادية من يريد أن يعكر صفاء عقيدة المسلمين، وفي حاجة ماسة أيضاً لإبراز جهوده في تصحيح معتقد توحيد الله في ذاته وصفاته وأفعاله، إذ لا يمكن جمع المسلمين الآن - مع الوضع في الاعتبار أننا مأمورون بالوحدة وجمع الصفوف وترك الخلاف وتوحيد الكلمة - إلا على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته، فهذا خير ما يَجمعُ المسلمين على كلمة سواء، ويعصمهم من التفرق في دين أو دنيا.. وما من سبيل إلى هذا - مع الأخذ بسائر الأسباب الدينية والدنيوية - سوى إثبات صفات الخالق جل وعلا عن طريق فهم معانيها وحملها على ظاهرها دونما تكييف ولا تجسيم، ولا تفويض ولا إخراج لها عن حقائقها، فإن هذا هو الموافق لاعتقاد النبي وصحابته الكرام وعليه إجماعهم، بل والموافق لمعتقد الأنبياء وأتباعهم دون ما استثناء.

وإلا فمن ذا الذي يستطيع أن ينكر قول الله تعالى: «وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا» [غافر:٣٦، ٣٧]، وفيه أن فرعون إنما كذَّب موسى في أن رب السماوات والأرض وما بينهما هو الذي في السماء، فوق جميع خلقه مباين لهم لا تخفى عليه منهم خافية، وأن هذا الفهم هو الذي أدى بفرعون لأن يروم بصرحه الذي أمر ببنائه أن يطلع إلى إله موسى، ولو أن كليم الله موسى عليه السلام قال: إنه في كل مكان بذاته، لطلبه الفرعون في بيته ولما أجهد نفسه والقائم على وزارته ببنيان الصرح؟!.. ومن ذا الذي بوسعه أن ينكر ما أخرجه الإمام

مسلم في صحيحه وأبو عوانة في مستخرجه والبيهقي في الأسماء والصفات والدارمي في الرد على المريسي وأبو داود والنسائي وابن أبي شيبة وابن أبي عاصم من حديث معاوية بن الحكم السلمي، قال: «كانت لي غنم بين أحد والجوانية - مكان شمال المدينة المنورة - فيها جارية لي فاطلعت عليها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة - وأنا رجل من بني آدم - فأسفت فصككتها، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فعظم ذلك عليّ، فقلت: يا رسول لله أفلا أعتقها؟ قال: ادعُها فدعوتُها، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: اعتقها فإنها مؤمنة» [صحيح مسلم].

وقد علق على هذا الحديث شيخ الإسلام في زمانه أبو عثمان الصابوني ت٤٤٩ شيخ نيسابور فيما يُعَدُّ استنباطاً من هذا الحديث فقال: «يعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله فوق سبع سماواته على عرشه كما نطق به كتابه، وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشه، وعرشه فوق سماواته، وإمامنا الشافعي احتج في المبسوط في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة بخبر معاوية بن الحكم، فقد سأل رسول الله عن إعتاق السوداء، فامتحنها ليعرف أهي مؤمنة أم لا، وقال لها: (أين ربك؟)، فأشارت إلى السماء، فقال لمعاوية: (اعتقها فإنها مؤمنة)، حيث حكم بإيمانها لما أقرت بأن ربها في السماء، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية» [عقيدة أصحاب الحديث ص ٤٨، وينظر العلو للحافظ الذهبي ص ١٧٩].

وفضلاً عن أن ما جاء في الحديث يمثل نداء الفطرة السليمة والبعيدة عن درن التعطيل، وقذر صرف صفات الله عن ظاهرها لتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان.. فقد ورد ما يفيد إجماع أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان على التصديق بها والإقرار لما جاء منها في كتاب الله وسنة رسوله.. ومن ذلك - من غير ما سقناه للصابوني - ما ذكره الإمام الأوزاعي وذلك فيما رواه عنه الحاكم والذهبي والبيهقي بسند جيد قال: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله عز وجل فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته» [ينظر العلو للذهبي ص ١٠٢، والصفات للبيهقي ص ٥٦١ والحموية لابن تيمية ص ٢٣].. وكذا ما ذكره شيخ أبي الحسن الأشعري وإمام البصرة وحافظها زكريا الساجي قال: «القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم: أن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء»، وساق سائر الاعتقاد [العلو للذهبي ص ١٥٠].

بل وما جاء كذلك عن إمام المذهب أبي الحسن الأشعري نفسه في رسالته إلى أهل الثغر، وما ذكره في (مقالات الإسلاميين) تحت عنوان (جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة) وسنذكر - بمشيئة الله - قوله في هذا إبان تقريرنا لمذهبه.

على أن ما يستلزمه القول بخلاف ما اتفق عليه سلف هذه الأمة في إثبات الصفات وفي حملها من دون تأويل على ظاهر معناها، هو جد خطير.. إذ يستلزم القول بتفويض معاني الصفات المنافي للتدبر، استجهال السابقين من الصحابة والتابعين لمعاني ما أنزل الله من آي الصفات، وأن يكون الله قد خاطب عباده بما لا يفهمون معناه، ونهاهم عن تدبر آياته بعد أن أمرهم به، ويستلزم كذلك أن يكون سبحانه قد أنزل جميع آي الصفات عبثاً لكونها - والحال كذلك - لا تفيد العباد عقيدة ولا ديناً.. كما يستلزم القول بتأويل الصفات المنافي للإثبات والمستلزم لإخراجها عن ظاهرها إلى المجاز، تصادم العقل مع النقل، ونفي ما جاء به الوحي من الصفات الخبرية والفعلية، وتعطيل ما أثبته الله لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته.. إلى غير ذلك مما ذكره أهل التحقيق..

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

علامات الربح والخـ

✍ إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، وصلى الله على نبينا وعلى آله وأتباعه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإنَّ الشهور والليالي والأعوام مقادير للآجال ومواقيت للأعمال تنقضي حثيثًا وتمضي جميعًا، والموت يطوف بالليل والنهار، لا يؤخر من حضرت ساعته وفرغت أيامه. والأيام خزائن حافظة لأعمالكم تُدعون بها يوم القيامة، « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ » [آل عمران: ٣٠] ينادي ربكم: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». [مسلم: ٤/١٩٩٤/٢٥٧٧].

أحبتي في الله: لقد مرَّت أيام رمضان المفضلة ولياليه الغر الخيرة، مضت بما أُودعَ فيها وخُتمت ملفاتها، وطويت صفحاتها، فسبحان مُصرف الليل والنهار، قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، وإن المسلم - بانقضاء أيام رمضان - واقع بين شعورين: شعور بالسرور، وشعور بالأسف.

أما السرور: فإن المسلم تغمره نشوة سرور بأنه أدرك شهر رمضان ووفق لصيامه وإكمال عدَّته، يستبشر بوعد الله له بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، يشعر بأنه أدى ركن إسلامه في أمان واطمئنان، يفرح بما أحل له من الطيبات في الليل والنهار، ذاكرًا قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه». [البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١/١٦٣)].

وأما الأسف: فإنَّ المسلم يأسف لفراق شهر الخير والبركة، كما يأسف الحبيب الذي يفارق حبيبه، يأسف لانقضاء أيام النفحات، والإفاضات والخصوصيات ومضاعفة الحسنات، يأسف لفراق الأحبة الذين صاحبوه في ليالي رمضان في الاعتكاف وقراءة القرآن.

فبالشعور الأول يسأل الله تعالى أن يتقبل منه صالح الأعمال، وبالشعور الثاني يسأل الله أن يعيد عليه شهر رمضان، وإن استدامة أمر الطاعة وامتداد أزمانها زاد الصالحين، وتحقيق أمل المحسنين، وليس للطاعة زمن محدود، ولا للعبادة أجل معدود، بل هي حق لله على العباد يعمرون بها الأكوان على مر الأزمان، وشهر رمضان ميدان لتنافس الصالحين، وتسابق المحسنين، يسمون بأرواحهم إلى الفضائل ويمنعون عنها الرذائل.

ويجب أن تسير النفوس على منهج الهدى والرشاد بعد رمضان، فعبادة رب العالمين ليست مقصورة على رمضان وليس للعبد منتهى من العبادة دون الموت، وبئس القوم يعبدون الزمان لا يعرفون الله إلا في رمضان، قال الله تعالى: « وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ » [الحجر: ٩٩]، وقال تعالى: «مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ » [الأحزاب: ٢٣]، فحصيلةُ المؤمن في دنياه عمرٌ محدودٌ بالساعاتِ والثواني، وكسبه المبذول رصيدٌ مدخرٌ بالأعمال المنجزات من غيرِ كسل أو توانٍ، يتطلَّبُ في عُمر الحياة بقدر ما كُتب له من فسحة، ويكدحُ فيها لينال أكبر المغانم، ومدارُ السعادة في طول العمر وحسن العمل، ومن كانت حصيلته ملأى بالخير من مختلف صنوفه فليهنأ وليستمسك «فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » [يونس: ٥٨].

فغريب إذن أن يُسيء أبناءُ هذا الدين الفهم لشعائر الإسلام، فلا يعملون الطاعات إلا في

خسارة بعد رمضان

مواسم معينة، وأوقاتٍ محدودة، فإذا انتهت، كان ذلك آخر عهدهم بها.
قال الله تعالى: « وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا » [النحل: ٩٢]. تلك هي النكسةُ المردية، والخسارةُ الفادحة.
فيا من عرفتم الخير في رمضان، كيف تزهدون فيه بعده؟ أنسيتم أنَّ ربَّ الشهور كلها واحد، وهو على كل أحوالكم وأعمالكم رقيب وشهيد؟ يا من أقبلتم على ربكم في رمضان، كيف نسيتموه بعده؟ يا من عرفتم أن الصلاة واجبة في أوقاتها، وفي الجماعة في بيوت الله، كيف تجاهلتم الصلاة بعد رمضان؟ يا من علمتم أن الله حرم عليكم المعاصي كيف رجعتم إليها؟ يا من كنتم تقبلون على القرآن كيف هجرتموه، يا لعظم الحرمان، أن يحور أناس بعد الخير إلى الشر وبعد الهدى إلى الضلال، وبعد طريق الجنة إلى طريق الجحيم، «أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ»!!

علامات الربح والخسارة بعد العمل:

ينبغي لكل مسلم أن ينظر في حاله، ويفكر في أمره ويتعرف على علامات الربح والخسارة بعد العمل، وأهمها الاستمرار على العمل الصالح، وإتباع الحسنة الحسنةَ، فمن كانت حاله بعد رمضان أحسنَ منها قبله بأن كان مقبلاً على الخير، حريصًا على الطاعة، مُواظبًا على حضور الجمع والجماعات، تائبًا منيبًا مُلتزمًا مستقيمًا صالحًا، بعيدًا عن المعاصي - فهذه أمارة قبول عمله إن شاء الله تعالى.
أما من كان حاله بعد رمضان كحاله قبله، فهو - وإن أقبل على الله في هذا الشهر - إلا أنه سرعان ما ينكص على عقبيه، ويعودُ إلى المعاصي، ويهجر الطاعات، ويجترحُ ما حرَّم الله ويضيِّعُ الصلوات، ويتبع الشهوات، ولا يصون سمعه وبصره وجوارحه، وأقواله وأفعاله وأمواله من المحرمات، فهذا لا يزداد من الله إلا بعدًا، والعياذ بالله.
إذن للقبول والربح في هذا الشهر علامات، وللخسارة والرد أمارات، وإنَّ من علامة قبول الحسنة: فعل الحسنة بعدها، ومن علامات السيئة: السيئة بعدها، فأتبعوا الحسنات بالحسنات تكن علامة على قبولها، وأكثروا من الحسنات بعد السيئات تكن كفارة لها، قال الله تعالى: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ» [هود: ١١٢]. وقال صلى الله عليه وسلم: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها». [صحيح الجامع: ٩٧].
فكونوا - إخواني - بقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، فالله لا يتقبل إلا من المتقين، وما أقبح فعل السيئة بعد الحسنة، ولئن كانت الحسنات يذهبن السيئات فإن السيئات قد يحبطن الأعمال الصالحات.
ألا فاتقوا الله عبادَ الله، وأروه من أنفسكم خيرًا، فمن كان مجتهدا فليزدد، ومن كان مقصرًا فليقصرْ، فالكيسُ من شمر في عبادة الله قبل أن يتوفاه الله، وتذكر بذلك سرعة تصرُّمه - أي سرعة انقضائه وانقطاعه - وقرب حلول الأجل، والعاجز من فتح على نفسه باب التسويف، واكتفى بالآمال والأماني، فيندم حيث لا ينفعه الندم حين يقول: «رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ » [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].
وفقنا الله وإياكم إلى عمل الصالحات، واجتناب المنكرات، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وعند الممات، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

حافظوا على نعمة الله عليكم بالشكر والطاعة.

قال تعالى «وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

[الأنفال ٢٦]

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

صيام ست من شوال

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر».

صحيح مسلم

زكاة الفطر قبل صلاة العيد

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات.

سنن أبي داود

من جوامع الدعاء

عن ابن عباس، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»

صحيح مسلم.

من نصائح السلف

قال أبو علي الحسن بن علي: من علامات السعادة على العبد تيسير الطاعة عليه، وموافقة السنة في أفعاله، وصحبته لأهل الصلاح، وحسن أخلاقه مع الإخوان، وبذل معروفه للخلق واهتمامه للمسلمين، ومراعاته لأوقاته.

إعداد: علاء خضر

من دلائل النبوة

وعن السائب بن يزيد قال:
ذهبت بي خالتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وَجِعٌ ، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ، ثم توضأ فشربت من وَضُوئه ، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زِرّ الحَجَلَة. «بيض الطائر»

متفق عليه

من فضائل الصحابة

عن أبي سلمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص، منها يبلغ الثدي، ومنها يبلغ الركب، قال: وعرض علي عمر وعليه قميص يجره» ، فقالوا: ما أولته؟ قال: «العلم».

صحيح البخاري

حكم ومواعظ

عن محمد بن الفضل البلخي قال: ست خصال يُعرف بها الجاهل: الغضب من غير شيء ، والكلام في غير نفع، والعطية في غير موضعها ، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد ، ولا يعرف صديقه من عدوه.

وقال: من ذاق حلاوة العلم لم يصبر عنه.

من أقوال السلف

عن ابن عون كان يقول عند الموت: السُّنة السُّنة، وإياكم والبدع، حتى مات.

وعن أبي العالية قال : من مات على السنة مستورا، فهو صدِّيق.

وكان يقول : الاعتصام بالسُّنة نجاة.

«السنة للبربهاري»

من أخلاق السلف

عن وكيع بن الجراح قال : اعتل سفيان الثوري فتأخرت عن عيادته، ثم عدته فاعتذرت إليه، فقال لي : يا أخي لا تعتذر فقلَّ من اعتذر إلا كذب واعلم أن الصديق لا يحاسب على شيء والعدو لا يحسب له شيء .

شعب الإيمان



البيع بالتقسيط

نظريات في التطبيق العملي

إعداد/ د. علي السالوس

إعداد: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

أما بعد: فحديثنا اليوم عن حكم البيع بالتقسيط وما يجب أن يكون فيه من الضوابط والأحكام الواردة في ذلك، ونبدأ بتناول: حكم زيادة البيع الآجل عن الحال، وذكر النقد والنسيئة:

الشائع المنتشر في بيع التقسيط هو أنه: زيادة ثمن المبيع عن البيع الحال، وإذا لم يُشِرْ إلى البيع الحال، واتفق البيعان من البداية على بيع التقسيط بالضوابط الشرعية، فالبيع صحيح عند المذاهب الأربعة والجمهور. وقال زين العابدين - علي بن الحسين رضي الله عنهما - والناصر والمنصور بالله، والهادوية، والإمام يحيي: يحرم بيع الشيء بأكثر من سعر يومه لأجل النسَاء. [نيل الأوطار: ١٧٢/٥].

ولعل الصواب مع الجمهور، وما يأتي من الأدلة يبين الجواز ويمنع التحريم، وإن كان التاجر الذي ينزل بالنسيئة إلى سعر النقد يعتبر ذا فضل ومروءة، إذا كان مراعاة لحال المشتري.

والغالب في بيع التقسيط أن يذكر أيضا سعر البيع نقدًا، فما الحكم هنا؟

روى أحمد - بسند رجاله ثقات - عن ابن مسعود رضي الله عنه - قال: «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صفقتين في صفقة» [وقال الشوكاني رجاله رجال الصحيح]. قال سماك - راوي الحديث-: هو الرجل يبيع البيع فيقول: هو بنسا بكذا، وهو بنقد كذا وكذا.

قال الشافعي وأحمد في تفسير هذا: بأن يقول بعتك بألف نقدًا أو ألفين إلى سنة، فخذ أيهما شئت أنت وشئت أنا. ونقل ابن الرفعة عن القاضي أن المسألة مفروضة على أنه قبل الإبهام، أما لو قال: قبلت بألف نقدًا أو بألفين بالنسيئة، صح ذلك.

قال الخطابي وابن الأثير: لا يجوز أن يقول: بعتك هذا الثوب نقدًا بعشرة ونسيئة بخمسة عشر؛ لأنه لا يدري أيهما الثمن الذي يختاره منهما فيقع به العقد، وإذا جهل الثمن بطل البيع.

وحكى عن طاووس أنه قال: لا بأس أن يقول له: بعتك هذا الثوب نقدًا بعشرة، وإلى شهرين بخمسة عشر، فيذهب به إلى إحداهما.

وما رواه عبد الرزاق عن الثوري، يفسر ما رواه ابن أبي شيبة، عن يحيى بن زكريا، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من باع بيعتين في بيعة فله أوكسهما أو الربا». والحديث بإسناده رواه أبو داود وحسنه الألباني. [عون المعبود ٣٢٢/٩].

وفي الإسناد محمد بن عمرو بن علقمة، وقد تكلم فيه واحد، والمحفوظ هو لفظ: «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيعتين في بيعة». رواه أحمد، والنسائي، والترمذي، وصححه، والشافعي، ومالك في بلاغاته. وصححه الألباني.

قال الخطابي بعد أن ذكر أن المشهور هو الرواية الأخيرة: وأما رواية يحيى بن زكريا عن محمد بن عمرو - على الوجه الذي ذكره أبو داود - فيشبه أن يكون ذلك في حكومة في شيء بعينه، وكأن أسلفه دينارًا في قفيز بُرَ إلى شهر، فلما حل الأجل، وطالبه بالبر، قال له: بعني القفيز الذي لك عليَّ بقفيزين إلى شهرين، فهذا بيع ثان، وقد دخل على البيع الأول، فصار بيعتين في بيعة، فَيُرَدَّان إلى أوكسهما أي أنقصهما - وهو الأصل، فإن

تبايعا البيع الثاني قبل أن يتقابضا الأول كانا مربيين.
وبعد أن انتهى صاحب عون المعبود من شرح حديث أبي داود، ونقل كثيرًا من الأقوال، قال: وبهذا يعرف أن رواية يحيى بن زكريا فيها شذوذ كما لا يخفى.
والشوكاني بعد أن شرح الروايات التي ذكرت تحت باب بيعتين في بيعة، قال: وقد جمعنا رسالة في هذه المسألة وسميناها: شفاء العليل في حكم زيادة الثمن لمجرد الأجل. والعلة في تحريم بيعتين في بيعة: عدم استقرار الثمن في صورة بيع الشيء الواحد بثمنين، والتعليق بالشرط المستقبل في صورة بيع هذا على أن يبيع منه ذاك، ولزوم الربا في صورة القفيز الحنطة. [نيل الأوطار: ٥/١٧٢، ١٧٢].
ويؤخذ مما سبق أن المنع ليس بسبب زيادة الثمن في بيع التقسيط، وإنما في جهالة الثمن إذا لم يقع البيع باتًا على النقد أو النسيئة، أما إذا اتفق البَيِّعان على بيعة واحدة من البيعتين في مجلس العقد صح البيع.
ومما يؤيد ما سبق ما رواه عبد الرزاق في مصنفه (٨/١٣٦) تحت باب البيع بالثمن إلى أجلين:
فروى عن الزهري وطاووس وابن المسيب أنهم قالوا: لا بأس بأن يقول: أبيعك هذا الثوب بعشرة إلى شهر، أو بعشرين إلى شهرين، فباعه أحدهما قبل أن يفارقه، فلا بأس به.
وروى مثله عن قتادة.
وروى عن الثوري قال: إذا قلت: أبيعك بالنقد إلى كذا، وبالنسيئة بكذا وكذا، فذهب به المشتري، فهو بالخيار في البيعين ما لم يكن وقع بيع على أحدهما، فإن وقع البيع هكذا فهذا مكروه، وهو بيعتان في بيعة، وهو مردود، وهو الذي ينهى عنه، فإن وجدت متاعك بعينه أخذته، وإن كان قد استهلك فلك أوكس الثمنين، وأبعد الأجلين.
وفي كتاب البيوع والأقضية من مصنف ابن شيبة (٦/١١٩) جعل بابًا عنوانه: الرجل يشتري من الرجل المبيع فيقول: إن كان نسيئة فبكذا، وإن كان نقدًا فبكذا.
ومما رواه في هذا الباب: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا بأس أن يقول للسلعة: هي بنقد بكذا، وبنسيئة بكذا، ولكن لا يفترقان إلا عن رضا، وعن شعبة قال: سألت الحكم وحمادًا عن الرجل يشتري من الرجل الشيء فيقول: إن كان نقدًا فبكذا، وإن كان إلى أجل فبكذا، قال: لا بأس إذا انصرف على أحدهما. قال شعبة: فذكرت ذلك للمغيرة فقال: كان إبراهيم لا يرى بذلك بأسًا إذا تفرق على أحدهما.

تحديد الثمن وفوائد التقسيط:

ومن العقود التي اطلعت عليها وجدت البائع يذكر ثمن السلعة، ثم يذكر فوائد مدة التقسيط، فيقول مثلاً: ثمن السيارة خمسون ألفًا، يدفع عند التعاقد خمسة آلاف ويقسط الباقي على عشرة أشهر، وبعد هذا نجد عبارة: فوائد التأخير خمسة آلاف، فيكون قيمة القسط الشهري خمسة آلاف.
وهذا يعني ربط الزيادة بالدين ومدته، ولذلك إذا رأى المشتري أن يعجِّل بأداء الدين تُخصم منه الفوائد، ويدفع الباقي كأنه اشترى نقدًا من بدء التعاقد، وإذا أراد أن يدفع بعض الأقساط فقط قبل موعدها، تخصم فوائد هذه الأقساط، وإذا تأخر في دفع الأقساط - كلها أو بعضها - عن موعدها، تُحسب فوائد تأخير إضافة تعادل سعر الفائدة السائد، وهكذا. وأعتقد أن التحريم هنا واضح جلي.

خصم البائع كمبيالات الأقساط المؤجلة لدى بنك ربوي:

يقصد بالخصم أو القطع دفع البنك لقيمة الكمبيالة قبل ميعاد استحقاقها، بعد خصم مبلغ معين يمثل فائدة القيمة المذكورة عن المدة بين تاريخ الخصم وميعاد الاستحقاق، مضافًا إليها عمولة البنك ومصاريف التحصيل.
والخصم عقد قرض ربوي كما بينت بالتفصيل في البحث الذي قدمته للمؤتمر الثاني للمجمع، وفي أكثر من كتاب من كتبي.
وعند الشراء بالتقسيط قد يأخذ البائع من المشتري كمبيالات بقيمة الأقساط وهي قابلة للتظهير، أي نقل الملكية، ثم يقوم بعملية الخصم أو القطع لدى بنك ربوي، فتصبح العلاقة بين المشتري وبين البنك، وهي علاقة مدين بدائن، ويخضع المدين هنا لسعر الفائدة الربوية التي يحددها البنك في ظل القانون الوضعي.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

القصة في كتاب الله



أصحاب الفيل

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾

الحلقة الثانية

إعداد / عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على البشير النذير نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أيها الأخ الكريم: هذا لقاؤنا الثاني مع قصة أصحاب الفيل، وكان اللقاء الأول حول أقوال أهل التاريخ والسِّيَر حول هذه القصة باعتبارها من دلائل النبوة ومقدماتها، واليوم حان موعدنا للحديث عنها باعتبارها من الآيات القرآنية، وحول تناول المفسرين لها.

فحديثنا الأول عنها باعتبارها آية كونية وقعت واشتهرت في العام الذي وُلد فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وحديثنا اليوم باعتبارها آيات قرآنية أنزلها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه بالحق نبيًا ورسولاً، وامتن عليه بنعم كثيرة ومنها هذه السورة الكريمة؛ حيث قال تبارك وتعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ» [سورة الفيل]. ونحن بعون الله سنقف مع السورة الوقفات التالية:

أولاً: علاقة السورة بما قبلها وما بعدها:

أ- **علاقة السورة بما قبلها**: قال الإمام الآلوسي - رحمه الله -: «سورة الفيل سورة مكية وآياتها خمس بلا خلاف، وكأنه لما تضمن الهمز واللمز من الكفرة نوع كيد للنبيِّ - عليه الصلاة والسلام - عقَّب ذلك بقصة الفيل للإشارة إلى أن عقبى كيد الكافرين في الدنيا تدميرهم كما دمَّر أصحاب الفيل، ألا وليعلموا أن عناية الله برسوله أقوى وأتم من عنايته بالبيت، فالسورة تشير إلى مآلهم في الدنيا إثر بيان مآلهم في الآخرة في سورة الهمزة، والله على كل شيء قدير». اهـ بتصرف.

ب- **علاقة السورة بما بعدها** - يعني سورة «قريش»-:

تكاد سورة «لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ» أن تكون امتدادًا لسورة الفيل، قال الإمام النسفي - رحمه الله -: «وهي في مصحف أبي بن كعب سورة واحدة بلا فصل (ويروى عن الكسائي ترك التسمية بينهما)». ونقل ابن عاشور رحمه الله خبرًا عن عمرو بن ميمون قال: «صليت المغرب خلف

عمر بن الخطاب فقرأ في الركعة الثانية: «ألم تر» و«لإيلاف قريش»، ووجه الدلالة هنا أن الصحابة لم يكونوا يقرءون في الفروض السورتين؛ لأن السنة قراءة الفاتحة وسورة، فدل على أنهما سورة واحدة».

وبتأمل يسير نجد العلاقة وثيقة بين السورتين في امتنان الله على قريش بنعمة الأمن وبنعمة حفظ البيت الذي أمروا بعبادة ربه سبحانه.

ثانيا: أهداف السورة: (أغراضها).

١- التذكير بمكانة الكعبة وأنها حرم الله، وقد حماها ممن أرادها بسوء.

٢- تذكير قريش بهذه النعمة وأن للبيت ربًا يحميه.

٣- الإشارة إلى مكانة النبي صلى الله عليه وسلم حيث جعل الله هذا الحدث إرهاصًا لمولده.

٤- تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم في مواجهة كيد قريش، وأن الله قادر على رد كيدهم كما ردّ كيد أصحاب الفيل، وفي هذا أيضًا تسرية عن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين المضطهدين من قريش.

٥- ومن وراء ذلك الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٦- من كان الله معه يدافع عنه فلا غالب له.

ثالثا: معاني المفردات:

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ» [الفيل:١].

الخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً ولكل من يقرأ كتاب الله أو يسمعه، «ألم تر» بمعنى ألم تسمع أو ألم تعلم ما حدث لأصحاب الفيل حين أرادوا الكعبة بسوء، وجاء الخطاب بألم تر ليفيد العلم اليقيني كأنك تراه رأي عين، لا مجال فيها للشك أو الاحتمال.

وأضافهم الله - سبحانه - إلى الفيل لاعتمادهم على الفيلة كسلاح فعّال في المعركة، كما يعتمد الناس في زماننا هذا على المدرعات، فالأفيال كانت بمثابة المدرعات في ذلك الوقت، ولوجود فيل كبير كان في المقدمة امتنع من دخول مكة، وكلما وُجه إليها أبى أن يدخلها وعاد أدراجه، فقد منعه الله من دخول مكة وحبسه عنها، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فيما رواه البخاري حين بركت ناقته وهو على مشارف مكة عام الحديبية فقالوا: «خلأت القصواء، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما خلأت القصواء، وما ذاك بخُلق لها، ولكن حبسها حابس الفيل» [البخاري]. وقد ذكر بعض أهل العلم أن هذا الفيل اسمه «محمود»، والله أعلم.

«أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ» [الفيل: ٢]: أي جعل تخطيطهم وعزمهم على هدم الكعبة في خسران وبوار.

«وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ» [الفيل: ٣] أي: جماعات من الطير في نوبات متتابعة كأنها الطائرات في طلعات متتابعة تلقي بمقذوفات فتصوبها بدقة تامة لا تخطئ هدفها، وإذا كانت الطائرات اليوم تُوجَّه بالرادار إلكترونيًا فمن وَجَّه الطير يومئذ؟ سبحان من ألهمها فاستجابت باتفاق محكم: فسبحان من علم هذه الطير وألهمها أن تُغير على أهدافها في مجموعات لكل مجموعة قائد وفي تشكيلات كتشكيلات الطيران الحربي المغير، بل قد تعلم منظمو الطيران من الطير النظام، والله غالب على أمره.

«تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ» [الفيل: ٤]: أرسل الله سبحانه وتعالى الطير بمهمة محددة تلقي مقذوفاتها من الحجارة الدقيقة كأنها القنابل في قوتها وفتكها، وإذا كانت القنابل التي صنعها البشر وصلت قوتها التدميرية إلى ما وصلت إليه مما هو معلوم للقاصي والداني، فما بالك بقنابل من صنع رب القوى والقُدر،والحجارة من سجيل سلطها الله من قبل على قوم لوط كما قال الله تعالى: «فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ» [هود: ٨٢، ٨٣].

وقال تعالى: «فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ» [الحجر: ٧٤].

وقال تعالى: «قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ» [الذاريات: ٣١-٣٤].

فالحجارة التي أرسلها الله من قبل على قوم لوط هي هي التي أُرسلت على أبرهة وجيشه مع اختلاف في القدر والكمية والطريقة، فلما كان المقصود في قوم لوط الاستئصال والإبادة

التامة، أمطر عليهم الحجارة فأبادت كل شيء وتركت الأرض بركة ماء إلى يومنا هذا يُعرف بالبحر الميت، والله أعلم.

ولما كان الغرض هو حماية البيت والمحافظة عليه وعلى مكة ومن فيها، كانت الإبادة هنا نوعية وانتقامية لإبادة المعتدين فحسب، وترك الأرض ومن عليها سالمة آمنة، فكانت الإبادة انتقائية وكان الحجر يذهب لصاحبه فلا يخطئه، وسواء كان الإرسال بواسطة الملائكة كما في قصة لوط أو بواسطة الطير كما في قصة أصحاب الفيل؛ فالكل جنود لله يرسلهم الله بما يشاء على من يشاء، فما وجه العجب والإنكار والاستبعاد الذي جعل بعض المفسرين يلجأون إلى التأويل المنكر الذي يصادم الحقيقة، وكأنهم يحجرون على قدرة الله المطلقة.

والحجارة أصلها من الطين فإذا مست النار صار سجيلاً، وإذا أُرسل إلى قوم بأعينهم لا يخطئهم صار مسومًا أي معلمًا موجهًا إلى هدفه بقدرة الله ومشيئته فلا يخطئه أبدًا، فلماذا يستعظم ذلك صاحب المنار ومن سار سيرته فيذهب إلى تأويل بعيد. حيث فسر الإمام محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا الطير بالبعوض والحجارة بالجدري.

« فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ »

هذه نهاية الطاغين المعتدين صاروا أشلاء ممزقين، والعصف هو ورق الشجر إذا دخلته البهائم فأكلته وداسته بأرجلها، أو هو قشر البُر بعد أكل الحب منه ثم طرح القشر أرضًا يداس بالأقدام، والمقصود هو تشبيه حال جيش أبرهة بعد الذي أصابه من هزيمة منكرة جعلت الجيش أشلاء مقطعة الأواصل كصورة هذه النباتات التي أكلتها الحيوانات وتركتها قشورًا مهانة أو أعوادًا معتصرة، ومنها ما خرج على هيئة البعرية، ومن بقي على قيد الحياة من الجنود عاش مشوشا معدوم القدرة أصابه العمى أو المرض المُقعد ثم الموت بعد ذلك.

ولعل من حكمة الله أن يُبقي بعضهم على قيد الحياة وقتًا يسيرًا حتى ينقلوا إلى أقوامهم حقيقة ما أصابهم ويكونوا آية وعلامة على قدرة رب العالمين، وهم عليها شهود، فليعتبر من كان له قلب.

دروس مستفادة من القصة، وهي كثيرة منها:

١- أن الله عز وجل لم يترك لأحد حماية بيته الحرام، مع تعظيم المشركين له، فقد كان تعظيمهم حمية الجاهلية.

٢- لم يجعل المولى عز وجل لأهل الكتاب سلطانا على بيته الحرام، ورد كيدهم في تضليل، فالفضل لله وحده سبحانه.

٣- ومن هذا نفهم أن الله سبحانه يعدُّ هذا البيت لأمر عظيم ليس هو ما كان عليه المشركون ولا ما كان عليه اليهود والنصارى، بل يعدُّ الله عز وجل هذا البيت لاستقبال الحنيفية السمحاء التي هي دين الأنبياء جميعًا، ودين إبراهيم عليه السلام، فكان مبعث النبي الخاتم إعلانًا لهذه الدعوة دعوة الإسلام التي هي دين إبراهيم الذي لم يك يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا ولم يك من المشركين، وبهذا بعث الله محمدًا الذي هو دعوة إبراهيم وبشرى أخيه عيسى وكلمة الله الأخيرة للبشرية وخاتم النبيين.

٤- كان على المشركين أن يدخلوا في هذا الدين الذي حفظ الله البيت من أجله، وعلى النصارى أن يتبعوا العرب في ذلك وأن يسلموا جميعًا لله رب العالمين.

٥- من دلائل هذه القصة تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وتبشيرهم بمستقبل هذا الدين، وزيادة يقينهم في نصرة رب العالمين الذي حفظ هذا البيت وهو حجارة من طين، ألا يحفظ رسوله ودعوته الذي أرسله رحمة للعالمين وهداية للخلق أجمعين.

٦- ونحن نستبشر بذلك ونوقن به، ونعلم أن الله على كل شيء قدير، وأنه ينصر دينه متى شاء وكيف شاء ونلجأ إلى الله وندعوه مخلصين له الدين أن يجعلنا من عباده الصالحين وجنده الموحدين، وأن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين، آمين، آمين.

ضوابط التعامل مع أخطاء البشر

إعداد/ المستشار أحمد السيد علي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد، فإن الأيام حبلى يلدن كل غريب، وتفاجئنا بين حين وآخر بأحداثٍ يحاول البعض استثمارها لتحقيق مآرب خاصة، والكل إلا من رحم الله لا ينضبط بالشرع في التعامل مع تلك الأحداث، إما لجهله بتلك الضوابط أو لنسيانها والذهول عنها عند وقوع الحدث، وإما لتجاهلها وعدم العمل بها، لذا أقدم بين يدي إخواني هذا الموضوع المهم - ضوابط التعامل مع أخطاء البشر - تذكرةً لي ولهم؛ امتثالاً لقوله تعالى: « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » [الذاريات: ٥٥] وتأليفًا لقلوب المسلمين، وجمعًا لشتاتهم.

أولاً: لابد أن نقدم بين يدي الموضوع حقيقة مهمة تغيب عن كثير من الناس عند التعامل مع أخطاء البشر، ألا وهي قوله صلى الله عليه وسلم «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون» [أخرجه ابن ماجه وحسنه الألباني]، فكلمة «كل» تفيد العموم لا تستثني أحدًا من بني آدم، ومن ثَم فإذا ما وقع أحد من بني آدم في الخطأ فلا بد أن لا ننظر إليه بمعزل عن هذا الأصل؛ إذ من لا يقع في الخطأ هم الملائكة إذ إنهم «لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» [التحريم ٦].

ثانيًا: أن أفضل البشر بعد الأنبياء هم الصحابة: وقد زكاهم ربهم فقال: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ» [التوبة ١٠٠] فالحق سبحانه وتعالى رضي عنهم، فدل ذلك على عظيم منزلتهم عنده. هؤلاء الأفاضل وقع بعضهم في المعاصي، فمنهم من زنا وأُقيم عليه الحد، قال تعالى: « الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ» [النور ٢]، ومنهم من سرق ونزل فيه قوله تعالى: « وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [المائدة ٣٨]، ومنهم من رمى المحصنات ونزل فيه قوله تعالى: « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً» [النور ٤].

ووقوعهم في المعاصي دليل على بشريتهم، فإذا ما وقع واحد من الناس الآن في مثل ما وقع فيه هؤلاء الأفاضل، فإن الناس تذبحه بألسنتهم، ويتناسون الطبيعة البشرية التي قد تدفعه لمثل هذه المعاصي؛ إذ إن الناس يتعاملون الآن مع المتدينين على أنهم ملائكة لا تخطئ، فإذا ما وقعوا في الخطأ سقطوا من أعين الناس!!!

والفرق بيننا وبين الصحابة: أن الواحد منهم إذا وقع في المعصية ألهبته نارها، وأراد أن يطفئها، ويتطهر منها بإقامة الحد عليه، والنبي صلى الله عليه وسلم تعامل مع هذه الحقيقة البشرية وليس أدل على ذلك من الآتي:-

١- ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارًا، وكان يُضحِك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب، فأُتي به يوما فأمر به فجُلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يُؤتى به؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله» [رواه البخاري]. فقد علّم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن الوقوع في المعصية لا يزيل مسمى الإيمان، ولا ينفي عن العاصي محبته لله عز وجل، ونهاهم عن لعنه وسبّه.

٢- ما رواه بريدة بن الحصيب أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إني قد ظلمت نفسي وزنيت، وإني أريد أن تطهرني. فرده. فلما كان من الغد أتاه فقال:

يا رسول الله! إني قد زنيت. فرده الثانية. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه فقال: «أتعلمون بعقله بأسًا؟ تنكرون منه شيئا؟» فقالوا: ما نعلمه إلا وَفِيّ العقل. من صالحينا. فيما نرى. فأتاه الثالثة. فأرسل إليهم أيضا فسأل عنه فأخبروه: أنه لا بأس به ولا بعقله. فلما كان الرابعة حفر له حفرة، ثم أمر به فرُجم.

قال: فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله! إني قد زنيت فطهرني. وإنه ردها. فلما كان الغد قالت: يا رسول الله! لِمَ تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزًا. فوالله! إني لحبلى. قال «أما الآن فلا، فاذهبي حتى تلدي» فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة. قالت: هذا قد ولدته. قال «اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه». فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز. فقالت: هذا، يا نبي الله! قد فطمته، وقد أكل الطعام. فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين. ثم أمر بها فحُفر لها إلى صدرها. وأمر الناس فرجموها. فيقبل خالد بن الوليد بحجر. فرمى رأسها. فتنضح الدم على وجه خالد. فسبّها. فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم سبّه إياها. فقال: «مهلاً! يا خالد! فوالذي نفسي بيده! لقد تابت توبة، لو تابها صاحب مكس لغفر له». ثم أمر بها فصلى عليها ودُفنت. [رواه مسلم].

وهنا أيضًا ينهى النبي صلى الله عليه وسلم خالدًا عن سبّه للغامدية، ويبين له أنها تابت توبة لو تابها صاحب مكس «وهو جامع الضرائب بغير حق» لغفر له وفي رواية لو تابها سبعون رجلاً من أهل المدينة لغُفر لهم.

أما نحن فإننا نقيم على المعاصي ولا نبادر إلى التوبة، بل ويبحث الواحد منا عن أي دليل يؤيد ما هو عليه من المعاصي!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثالثا: أن كفار قريش عارضوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بشتى السبل، فقالوا: ساحر، وقالوا كاهن، وقالوا مجنون.. إلخ ما قالوه، ولم يأت دليل أنهم أقاموا الدنيا ولم يقعدوها عند وقوع الصحابة في المعاصي، فلم نسمعهم مثلا يعممون الحكم على كل الصحابة عندما زنى ماعز أو الغامدية، ولم نسمعهم يقولون: انظروا إلى أصحاب محمد ينزل عليهم القرآن ويسمعون ويرون نبيهم، ومع ذلك يزني أحدهم ويسرق آخر، وينفروا من لم يدخل في الإسلام بنشر مثل هذه الأحداث في كل مكان!!! لم يفعلوا ذلك، أما إعلام الآن ومن في قلبه مرض وبغض للمتدينين، فيحاول نشر هذه الأحداث، لا لفضح أصحابها فقط، وإنما لسحب الحكم على الفصيل المنتمي إليه بأسره، فسبحان الله وهذا فارق مهم بين أخلاق كفار قريش وأخلاق المسلمين الآن!!!!

رابعا: ضوابط التعامل مع الشائعات وأخطاء البشر تكون بالآتي:-

١- **الضابط الأول:** التثبت من صحتها:- قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا» [الحجرات: ٦] فإذا تبين صحتها ننتقل إلى الضابط الثاني وهو:

٢- **الضابط الثاني:** النظر إلى الدوافع:- التي أدت بالشخص إلى القول أو الفعل المخالف للشرع، فربما كان الدافع مقبولاً، ومثال ذلك ما رواه عمرو بن العاص قال: «احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: «ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما» فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئًا» [رواه أبو داود وصححه الألباني]، فقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم فعل عمرو لما علم دافعه. فإذا كان الدافع غير مقبول ننتقل إلى الضابط الثالث وهو:

٣- **الضابط الثالث:** تقييم المخطئ:- فإذا كان الفعل أو القول يشكّل معصية توجب حدًا فإنه يُطبق على صاحبه - هذا إذا كانت الحدود مطبقة في البلد الذي يقيم به المرء، فإذا كانت الحدود غير مطبقة فيجب عليه التوبة والاستغفار - أما إذا كانت المعصية لا تشكل حدًا فننظر إلى صاحبها، فإن كانت حسناته ترجح على سيئاته عفونا عنه، وإن كانت سيئاته ترجح على حسناته حاسبناه عليها، والدليل على ذلك ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ [الروضة: الحديقة]، فإن بها ظعينة [الظعينة: المرأة الشابة المسافرة] معها كتاب، فخذوه منها». قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا، لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب،

قال: فأخرجته من عقاصها [أي من ضفائر شعرها]، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة، إلى ناس بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم [يخبرهم بعزم النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة] فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حاطب، ما هذا؟». قال: يا رسول الله، لا تعجل عليّ، إني كنت امرأً ملصقا في قريش، يقول: كنت حليفا، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتي [أي يحمون أقاربه المسلمين الذين لم يهاجروا من مكة إلى المدينة]، ولم أفعله ارتدادًا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام.

فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنه قد صدقكم». فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرًا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». فأنزل الله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» [الممتحنة: ١]. [رواه البخاري].

فالنبي صلى الله عليه وسلم علم أمته التثبت، فقال: «يا حاطب ما هذا» مع أن الله عز وجل قد أخبره بأمر حاطب وبالرسالة التي أرسلها إلى قريش، ثم إنه نظر إلى الدافع الذي دفعه إلى الوقوع في تلك المعصية «إرسال رسالة تجسس لقريش يخبرهم بعزم النبي فتح مكة» فلما لم يقتنع بالدافع، وأراد عمر أن يقتله، بيّن لأصحابه الضابط الثالث: تقييم المخطئ بالنظر إلى ميزان حسنات وسيئات المرء في الدنيا، فلما وجد حاطبًا قد شهد بدرًا، وهذه حسنة لا يضاهيها حسنة، ولم يكن للفعل حدّ يستوجبه، عفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

فهل نحن الآن نتعامل مع ما تنقله وسائل الإعلام بمثل هذه الضوابط؟ فهل نتثبت قبل أن ننقل، فالأصل في المسلم حسن الظن لا إساءته، وذلك لأن الأصل براءة الذمة، قال تعالى: « وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ » [النور: ١٢] فهل إذا نُقل إلينا وقوع شخص متدين في الزنا، قال الواحد منا: أنا لا يمكن أن أزني، وكذلك أخي فلان الذي نُقل عنه أنه زنى؟!!! أم أننا نسارع بنهش عرضه وإشاعة الفاحشة بين الناس، فمن أمسك عليه لسانه، ولم يلغ في أعراض الآخرين، فقد وافق ما أمر به « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » [الإسراء ٣٦] ومن ولغ في أعراضهم فقد باء بالخسران المبين.

ولا يقدح في ذلك أن الحقيقة قد تنجلي ويتضح صدق الواقعة، إذ إن الممسك لم يخسر شيئًا بل أخذ الأجر والثواب على امتثاله للشرع، ولم يخالف الأصل العام، وأما الساعي بها فقد باء بالإثم والوزر لمخالفته للشرع، ولو انجلت الحقيقة وبان صدق الشائعة. فأي الفريقين أحق بالاتباع إن كنتم تعقلون؟!

ثم لنا أن نتساءل هل لو كان المتهم أو المتهمة قريبين للمرء هل سيسارع بنشر الشائعة أم سيحاول إخفاءها؟! وهل سيدافع عنهما بحرارة أم سيتهمهما؟!!! وهل عند ظهور براءتهما سينشرها في الآفاق أم سيخفيها؟!!! فإن كان مسلكه مع الغريب هو نفسه مع القريب فهو مؤمن حقًا، قال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [رواه أحمد وصححه الألباني] وإن اختلف السلوك فهو ناقص الإيمان.

ثم لا بد من كتم مثل هذه الأمور وعدم نقلها لسببين: الأول: قال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » [النور:١٩] ونقل هذه الأخبار إشاعة للفاحشة. الثاني أنها تدخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه ولو في جوف بيته» [رواه السيوطي في صحيح الجامع وصححه الألباني]، فمن نقل مثل هذه الأمور تتبع الله عورته فيفضحه ولو في جوف بيته.

نسأل الله السلامة والعافية، وأن يسترنا بستره الجميل، وأن يعافينا من الذنوب، ويستر عنا العيوب.

دلالة المعجزة على صدق الرسـ

إعداد / فتحي أمين عثمان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

أما بعد: فقد تحدثنا في العدد الماضي عن أن القرآن هو المعجزة العظمى الخالدة، وأن القرآن نور وهداية للبشرية، ونكمل في هذا العدد ما بدأناه فنقول وبالله تعالى التوفيق:

اتفق العلماء على أن المعجزة تدل على صدق الرسول في دعوى الرسالة، واختلفوا في كيفية الدلالة هل هي عقلية أو وضعية أو عادية؟!

فذهب بعضهم إلى أن+ دلالتها عقلية، بمعنى أن خلق الله تعالى للأمر الخارق للعادة مقارنًا لدعوى الرسالة وتحدي الرسول قومه بذلك الأمر مع العجز عن معارضته وتخصيصه بذلك يدل عقلاً على أن الله أراد تصديقه.

وذهب بعضهم إلى أنها دلالة وضعية بمعنى أن دلالتها على صدق من ظهرت على يديه كدلالة الألفاظ على معانيها.

- وذهب بعضهم إلى أن دلالتها على صدق الرسول عادية، بمعنى أن سُنة الله جرت بخلق العلم بالصدق عقب ظهور المعجزة ولم تجر سنته من مبدأ إرسال الرسل إلى الآن بخلق المعجزة على يد الكاذب.

أوجه الإعجاز في القرآن:

إذا كانت معجزات الأنبياء السابقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجزات مادية، وأن الآية الكبرى التي أوتيها الرسول كانت وحيًا أوحاه الله إليه، وإن كان ذلك لم يمنع من أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجزات مادية شأنه شأن غيره من الأنبياء والمرسلين، فإن المعجزات أو الآيات المادية قد ذهبت بذهاب أصحابها، وأن وجه التحدي فيها موجَّه إلى الذين عاصروها أو شاهدوها، ولكن معجزات القرآن دائمة وباقية، ووجه التحدي بها قائم إلى أن تقوم الساعة.

وأوجه الإعجاز في القرآن كثيرة متعددة لا يحيط بها فكر معين ولا زمن محدد، فكل فكر يجد فيه بغيته، وكل زمان يجد فيه حاجته؛ لأن عطاء القرآن يتجدد لا ينتهي أبدًا. فإن كلام كل أحد على قدره وكلام الله تعالى لا يحيط به أحد.

وقد اتفقت كلمة العلماء على أن العقول لم تصل ولن تصل إلى نواحي الإعجاز التي في القرآن كلها.

ومن نواحي الإعجاز:

١- **اتساق عباراته ومعانيه،** وشمول أغراضه وأحكامه؛ فقد اشتمل القرآن على أكثر من ستة آلاف آية، وعبر عما قصد إلى التعبير عنه بعبارات متنوعة وأساليب شتى، وطرق موضوعات اعتقادية وتشريعية، وقرر نظريات كثيرة كونية واجتماعية ووجدانية، ولا تجد في عباراته اختلافًا في بلاغة أو تفاوتًا في فصاحة.

وتجد كل لفظ يطابق مقتضى الحال كما أنك لا تجد في القرآن معنى يتعارض أو يناقض معنى آخر، ولا تجد حكمًا يختلف مع حكم آخر ولا مبدأ يهدم مبدأ ولو كان من عند غير الله لوجد فيه الاختلاف والاضطراب؛ وهذا مصداق لقوله تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا» [النساء: ٨٢].

فإذا تحدث القرآن عن حكم معين أو كان الموضوع تفنيدًا وبيانًا لحكم لا تجد الخطاب يشمل الأسلوب الخطابي المؤثر بل نجد الكلمات المحددة والمناسبة، أما إذا كان الحديث عن تسفيه عبادة غير الله أو الاستعانة بغير الله، أو الدلالة على قدرة الله أو التذكير بنعمة الله، فإن الخطاب يكون محركًا للوجدان هازًا للمشاعر.

٢- **ومن أوجه الإعجاز أيضًا: إخباره بوقائع لا يعلمها إلا علام الغيوب،** فقد هتك القرآن أسرار الغيب الماضي والغيب الحاضر (النسبي)

...ـول صلى الله عليه وسلم

والمستقبل؛ القريب منه والبعيد.

ومن الغيب الماضي ما أخبر به القرآن عن الأمم السابقة ولم يكن لقريش علم بها، فقد قصَّ علينا القرآن قصة نوحٍ عليه السلام مع قومه، ثم أوضح ربنا قائلا: « تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ » [هود: ٤٩].

وكذلك أخبر القرآن عن وقوع أحداث تقع في المستقبل لا علم لأحد من الناس بها، كقوله تعالى: «الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » [الروم: ١– ٥].

وقد وعد الله سبحانه وتعالى أن المسلمين سيستولون على عير قريش أو ينتصرون « وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ » [الأنفال: ٧، ٨]، وقد كان النصر.

وقد وعد الله رسوله بأن يدخله المسجد الحرام، فقد قال عز من قائل: «لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا » [الفتح: ٢٧]، وقد تحقق ذلك.

قال البيضاوي في تفسيره لقوله تبارك وتعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ » [المائدة: ٥٤]، قال البيضاوي: إن ذلك في الكائنات التي أخبر تعالى عنها قبل وقوعها، وقد تحقق ذلك بأن ارتد كثير من العرب بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣- الإعجاز الكوني:

وهو انطباق آيات القرآن الكريم مع ما يحققه العلم من أصول علمية ثابتة، وبما أن القرآن الكريم ليس من مقاصده الأصلية أن يقرر نظريات علمية في خلق السماوات والأرض. ولكن في مقام الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى، ووحدانيته وتذكير الناس بنعمه وآلائه، وتذكيرهم بأن من يخلق ليس كمن لا يخلق، جاءت بعض آيات القرآن الكريم ليفهم منها سنة كونية أو نواميس طبيعية كشف العلم الحديث عنها.

قال تبارك وتعالى: « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» [فصلت: ٥٣].

٤- الإعجاز اللغوي:

وهذا الوجه من أوجه الإعجاز هو أبرزها، وبه قام التحدي للعرب وغيرهم في زمانهم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وتتجلى فصاحة ألفاظه وبلاغة تعبيره، وقوة تأثيره، لمن له ذوق عربي، فليس في القرآن لفظ ينبو عن السمع أو يتنافر مع ما قبله أو ما بعده وعباراته في أعلى مستوى في تشبيهاته، وحججه ومجادلاته في إثبات العقائد الصحيحة وإفحامه لحجج المبطلين.

وقد تكلم في إعجاز القرآن الكريم من العلماء والمفسرين فهم على سبيل المثال لا الحصر: البرهاني والزمخشري والقرطبي والباقلاني، وأيضًا القاضي عياض، ومن المحدثين مصطفى الرافعي في كتابه «إعجاز القرآن».

ويكفي في هذا المقام أن نسوق ما قاله رجل من ألد أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الوليد بن المغيرة عندما سمع القرآن الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه، ما يقول به بشر».

ولنا موعد آخر إن شاء الله لنكمل أوجه الإعجاز بتفصيل بإذن الله تعالى.

والله من وراء القصد ومنه الهداية وبه التوفيق.

من فقه
إدارة الدعوة
(٣)

التنفيذ الفعلي

إعداد / د. محمد يسري

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد: ففي المقالين السابقين جرى حديث عن التدريب والتخطيط، وفي هذا المقال يأتي حديث عن معالم تنفيذية وإدارية، في الممارسة الدعوية المؤسسية.

ومن المسلّم به أن الخطوة الرئيسة في الإدارة هي: التنفيذ العملي الذي سبقه تخطيط وتدريب.

- ومن معالم التنفيذ المهمة: التنظيم وحسن الإدارة، والدعوة التي تدير أعمالها بطريقة منظّمة هي أحرى الدعوات بحسن استثمار الطاقات، وتوجيهِ الجهود لتحقيق الأهداف في أقل وقت وبأكمل أداء؛ ذلك أن النجاح قرين النظام وأن الفشل ربيب الفوضى.

- وكل عمل دعوي ناجح تقف خلفه إدارة ناجحة، تحسن تحديد الأهداف وتحويلها إلى خطَّة تُرسم بدقة، وتضع لها برامج يقوم بها رجالٌ مؤهلون ومدرَّبون، وتتابعهم إدارة واعية تعلم وتشجِّع، وتحاسب وتشاور، وتشارك في حل المشكلات وتجاوز العقبات.

- وحقيقة الإدارة التنفيذية أنها وسيلة ناجحة وأداة ناجعة في تحصيل المقاصد وإحراز النتائج، وكما هي موهبة فهي علمٌ وخبرة، وفنٌ ودُربة.

- والإدارة الدعوية المؤهلة مطلوبة شرعًا طلب الوسائل لا الغايات، وهي مسئوليةٌ وتكليف لا غنم فيها ولا تشريف، وهي مطلوبةٌ سياسةً طلب الذرائع لا المقاصد، وكما تحتاجها الطائفة والجماعة والهيئة فلا يستغني عنها الداعية الفرد في تنظيم وقته وإدارة جهده وتعظيم الإفادة من دعوته، وتأهيله لاتخاذ المواقف المناسبة في المستجدات كافة.

- والقائد الإداري في كل موقع هو من جمع بين القوة والأمانة وبين الكفاءة والديانة، قال تعالى: «إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ» [القصص: ٢٦]، وقال تعالى: «قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ» [يوسف:٥٥].

- واستئجار الأقوى والأعلم أولى، والقوة والكفاءة في كل ولاية بحسَبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب والدربة على الطعن والضرب والكَرّ والفرّ، والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة، والقدرة على تنفيذ الأحكام.

وأما الأمانة والحفظ فترجع إلى خشية الله وتقواه، ورعاية حدوده ظاهرًا وباطنًا، وأن لا يشتري العبد بآياته ثمنًا قليلاً، وترك خشية الناس

[فتاوى ابن تيمية، بيسير تصرف (٢٨/٢٥٣)].

وفي الحديث: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وفي كل خير» [أخرجه مسلم (٢٦٦٤)].

- وإذا كان المؤمن الضعيف قد تتطلع نفسه إلى القيادة؛ فإن من حوله يجب أن يحموه إياها ويمنعوه منها، وإلا وقع الخلل وعمت الفوضى، وقد قال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه حين طلبها: «يا أبا ذر! إنك ضعيف، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها» [أخرجه مسلم (١٨٢٥)].

وكما أن تصدر الضعفاء والضعاف من شأنه أن يوهن الدعوة؛ فإن تأخر الثقات الأكفاء يزيدها وهنًا ووهاءً، وقد اشتكى الخبيرُ بالرجال عمرُ رضي الله عنه وتعوذ بالله من جَلَد الفاجر وعجزِ الثقة!

- وفي العمل الدعوي الإداري حقوقٍ وواجبات؛ إذ كل حق يقابله واجب، ولا تصلح مطالبة بالواجب قبل أداء الحق.

- وفي العمل الدعوي الإداري شورى تسدِّد الرأي وتقوِّم العمل، وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وبهذا عمل النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة في المهمات كافة، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم» [علقه الترمذي بصيغة التضعيف بعد حديث (١٧١٤) ووصله عبد الرزاق (٥/ ٣٣٠) رقم (٩٧٢٠) وأحمد (٤/ ٣٢٨) رقم (١٨٩٢٨) والبيهقي في سننه (٩/ ٢١٨) وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/٣٤٠): رجاله ثقات إلا أنه منقطع].

- وفي العمل الإداري نفحة إيمانية تقدِّم القدوة، وتعلِّم الأسوة، وتحارب الهوى، وتحقِّق العدل، وترعى الأمانة، وتملأ الدعوة ربانية، وتقضي على تحول الممارسة من عبادة شرعية، إلى أعمال تُدار بطريقة آلية!!

وأخيرًا: فإنه لا غنى بالعمل الإداري الدعوي عن تقويم دوري، على أسس من الربانية والموضوعية؛ لاكتشاف الخطأ وإصلاح الخلل، وضمان النمو واستمرار العمل، وليكن معلومًا أن ممارسة النقد الذاتي والتقويم القياسي علامة صحة وعافية في حق الأفراد والتجمعات كافة.

وبالنسبة للواقع اليوم فإذا قال قائل: إن أزمة كثير من الدعوات المعاصرة هي أزمة إدارية منهجية، فلن يكون قوله هذا بعيدًا عن الصواب أو مجانبًا للحقيقة!

- ولعل توسعًا في دائرة صنع الكفاءات القيادية المتخصصة تربويًا واجتماعيًا وعلميًا وعمليًا يحقق انفراجًا لهذه الدعوات التي ربما أصيبت بعقم إنتاجي، وضمور جماهيري، كما يقدم حلاً لتلك الدعوات التي تشتكي من إقبال جماهيري ولا تجد من يقوم على ترشيد جماهيرها واستيعاب أفرادها ضمن برامج عملية حقيقية وقوية!

- ولعل مراجعةً لآليات صناعة القرار داخل مؤسسات الدعوة إلى الله وتعميق مبدأ الشورى، وتقوية التواصل بين القاعدة والقيادة يسهم في صناعة المواقف وصياغة القرار الدعوي بطريقة أصوب وأحكم وأسلم.

- ولعل التركيز على صناعة المؤسسات الدعوية والإعلامية بدلاً من بناء الرموز الفردية التي تنأى عن الجماعية يكون أنفع للأمة من الاحتشاد خلف شخص أو رمز مهما كان أثره أو حجمه!

وعلى قادة العمل الإسلامي اليوم أن يعلموا أن إحكام الإدارة التنفيذية للدعوة والدعاة سوف يعين بإذن الله تعالى على تفعيل الأمة.. كل الأمة، صغيرها قبل كبيرها، وفقيرها قبل غنيها، وأُنثاها قبل ذكرها، في نصرة دينها وحماية مرافقها وتحرير مقدساتها، لا يستثنى من ذلك برٌ أو فاجر، وها نحن نتذكر أبا محجن الثقفي في عصور الراشدين الزاهرة كيف حُبس في الخمر تعزيرًا، وكيف أُطلق في ساحة الوغى أسدًا هصورًا!

إنها إدارة واعية تملك القدرة على تفعيل الأمة وتجييشها عبر تركات واعية من عهد الراشدين إلى الأمويين فالعباسيين، وهنا نتذكر عقيدة الطحاوي وما علق عليها العلماء كابن تيمية وغيره من إمضاء الجهاد مع كل برٍّ وفاجر، وكيف أن الأمة جاهدت عدوها ببرها وفاجرها منذ فجر تاريخها المجيد، بإدارة استنهضت الهمم وفجَّرت الطاقات وألهبت الحماسات، واستعملت في هذه الإدارة الواعية الآيةَ والحديث، والخطبة والقصة، والشعر والنثر، وهي اليوم مدعوة لأن تستعمل الفضائية والشبكة العنكبوتية، والوسائل العصرية، ليفضي كل ذلك إلى حِطين جديدة، وعين جالوت متجددة.

والله المستعان، وعليه التكلان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تحذير المغرور من شهادة الزور

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله الذي كان بعباده خبيرًا بصيرًا، والصلاة والسلام على النبي محمد المرسل شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وبعدُ:

أعوذ بالله من شهادة الزور، أعوذ بالله من رُكوب الفجور، أعوذ بالله من الغيّ والنفور، أعوذ بالله من الشيطان المبعد المثبور، أعوذ بالله من الركون إلى دار الغرور، أعوذ بالله من سخط الملك الغفور.

إن شهادة الزور هي الداء العضال، والظلمة التي يتستر بها الظلمة والضلال، والحجة الداحضة التي بها يحلّ الحرام ويحرم الحلال، وقد كثر في هذا الزمان أهل الشهادة الفاسدة، ونفقت بهم سوق الأباطيل الكاسدة.

الزور لغة:

الميل عن الحق. يقول ابن فارس: الزّاي والواو والراء أصل واحد يدل على الميل والعدول، من ذلك الزور الكذب؛ لأنه مائل عن طريقة الحق، ويقال: زوّر فلان الشيء تزويرًا، وزور الشيء في نفسه: هيّأه، لأنه يعدل به عن طريقة تكون أقرب إلى قبول السامع.

والزور مأخوذ من الزور، وهو ميل في الزور، يقول الراغب: وقيل للكذب: زور؛ لكونه مائلاً عن جهته، قال الله تعالى: «ظُلْمًا وَزُورًا» [الفرقان: ٤].

والزور أيضًا: كل شيء يُتخذ ربًا، ويُعبَد من دون الله.

وزور نفسه: وسمها بالتزوير، وزور الشهادة أبطلها، والزور مجالس اللهو، والزور: شهادة الباطل وقول الكذب، ولم يشتق من تزوير الكلام، ولكنه اشتق من تزوير الصدر، وقيل: الزور الكذب والباطل والتهمة، وزوّر الكلام زخرفه، وازورّ عن الشيء وتزاور عنه، مال. [نضرة النعيم ١٠/٤٧٧٤].

الزور اصطلاحًا:

قال أبو هلال العسكري: الزور هو الكذب الذي قد سوّي وحُسّن في الظاهر ليُحسَب أنه صدق وهو من قول: زورت الشيء إذا سويته وحسنته.

قال الحافظ ابن حجر: وضابط الزور وصف الشيء على خلاف ما هو به، وقد يضاف إلى القول فيشمل الكذب والباطل، وقد يُضاف إلى الشهادة فيختص بها.

شهادة الزور اصطلاحًا:

قال القرطبي: شهادة الزور هي الشهادة بالكذب ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس أو أخذ مال، أو تحليل حرام أو تحريم حلال.

حكم شهادة الزور:

قال الإمام الذهبي - بعد أن ذكر أنها من الكبائر -: إن شاهد الزور قد ارتكب عظائم:

أحدها: الكذب والافتراء.

ثانيها: أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه (أحيانًا).

ثالثها: أنه ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام، فأخذه بشهادته فوجبت له النار، مصداقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: «من قضيت له من مال أخيه بغير حقّ فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار» [متفق عليه].

رابعها: أنه أباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض.

وقال ابن حجر: «عدّ شهادة الزور وقبولها، كلاهما من الكبائر. وقد صرّحوا بذلك الشهادة، وقياس الثانية (أي قبول شهادة الزور) أن تكون كذلك، وحكى بعضهم الإجماع على أن شهادة الزور كبيرة ولا فرق بين أن يكون المشهود به قليلاً أو كثيرًا، فضلاً عن هذه المفسدة القبيحة الشنيعة جدًا. [نضرة النعيم ج١٠].

شهادة الزور تعدل الشرك

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «يا أيها الناس، عدلت شهادة الزور إشراكًا بالله». ثلاثًا. ثم قرأ: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ» [الحج: ٣٠]. (رواه الطبراني في الكبير موقوفًا بإسناد حسن، وانظر صحيح الترغيب والترهيب].

- ويروى عن ابن عباس في هذه الآية: «وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا» [الفرقان: ٧٢]. قال: أعياد المشركين، وقال ابن مسعود: الزور: الغناء. فقيل لابن عباس: أو ما هذا في الشهادة بالزور؟ فقال: لا، إنما آية شهادة الزور «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» [الإسراء: ٣٦].

فظاعة شهادة الزور

قال القاضي: الأمر في عظيم جرم شاهد الزور وجسيم إثمه، وفظيع ما تحمله وقبيح ما ارتكبه واقتحمه واحتقبه وأقدم عليه، وما ورد من توعد الله جل جلاله إياه في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطول شرحه ويتعب جمعه، ومن بليغ ما ورد فيه هذا الخبر الذي رويناه، وقد روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: « شاهد الزور لا تزول قدماه حتى يؤمر به إلى النار »، وروي عَنْهُ أيضا أنه قال: « عدلت شهادة الزور الشرك ». [حسنه الألباني].

وقال الله جل وعز: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ» [الحج: ٣٠]، وقال تعالى جده: «إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ» [النحل: ١٠٥]، وروي عن ابن عباس، أنه قال في قوله جل ذكره: « إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ » [الأعراف: ١٥٢] هي والله لكل مفتر كذبًا إلى يوم القيامة.

وقد اختلف أهل العلم فيما ينبغي أن يعمل بشاهد الزور: فذهب بعضهم إلى تعزيره وتأديبه، ورأى آخرون إظهار أمره والنداء عليه والتنكيل به، وشهره وتحذير الناس منه، وإسقاط شهادته إلى أن يتوب وتظهر توبته وتحسن إنابته أو تأتي عليه منيته.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إياكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وتحروا الصدق فإن الصدق يهدي إلى البرّ، والبرّ يهدي إلى الجنة». [مسلم].

- ومن كلام لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك.

- وقال عمر رضي الله عنه: «عليك بالصدق وإن قتلك».

احذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر، وتفسد السرّ والجهر.

وأنشدوا:

إذا ازدحم العباد لكي يجوزوا
تساقط كل جبار أثيم
بقعر النار ليس لهم مغيث
ولا للعاصي يومًا من حميم
ومن يطع الإله فسوف ينجو
من التعذيب في قعر الجحيم
إذا نُصب الصراط على جحيم
فيالله من هول عظيم
ألا يا معشر الإسلام توبوا
من العصيان للرب الرحيم

الترهيب من شهادة الزور

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ » ثلاثًا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: « الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئًا فقال - ألا وقول الزور »، قال: فما زال

يكررها حتى قلنا: ليته سكت. [رواه البخاري ومسلم].

وعن أنس رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال: «الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر!! قول الزور، أو قال: شهادة الزور». [البخاري ومسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار». [رواه أحمد وضعفه الألباني].

إن شهادة الزور مفسدة للدين والدنيا وللفرد والمجتمع إنها معصية لله ورسوله إنها كذب وبهتان وأكل للمال بالباطل، فالمشهود له يأكل ما لا يستحق والشاهد يقدم له ما لا حق له فيه.

إن شهادة الزور سبب لانتهاك الأعراض وإزهاق النفوس، فإن الشاهد بالزور إذا شهد مرة هانت عليه الشهادة ثانية، وإذا شهد بالصغير هانت عليه بالكبير؛ لأن النفوس بمقتضى الفطرة تنفر من المعصية وتهابها، فإذا وقعت فيها هانت عليها وتدرجت من الأصغر إلى ما فوقه.

كما أن شهادة الزور ضياع للحقوق، وإسقاط للعدالة، وزعزعة للثقة والأمانة، وإرباك للأحكام وتشويش على المسئولين والحكام، فهي فساد الدين والدنيا والآخرة.

فالحذر الحذر من شهادة الزور، وإن زينها الشيطان في قلوبكم ولا تأخذكم في الله لومة لائم، ولا تصرفكم عن الحق ظنون كاذبة، أو إرادات آثمة فتشاقوا الله ورسوله وتتبعوا غير سبيل المؤمنين.

إذا كان كتم الشهادة فيه ضرر على البشرية واختلال لنظامها فهناك ما هو أشد منه إثمًا وأكبر خطرًا وما أدراكم ما هو، هو الجريمة العظيمة والطامة الكبرى شهادة الزور التي كادت تعدل الإشراك بالله شهادة الزور التي تهددنا في أموالنا ودمائنا وأمننا تلكم التي أخربت بيوتًا عامرة وأزهقت أرواحًا بريئة وأهدرت حقوقًا واضحة فما فشت في أمة إلا وسادت فيها الفوضى وتحكمت فيها الأهواء، لذا وغيره من أضراره الخطرة حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم، فحذار معشر المسلمين من شهادة الزور وقوله فإن فيها إساءة على قضاة المسلمين بتلبيس الحق عليهم، وفيها إساءة إلى المشهود له بمساعدته على الإثم والعدوان، فيها إساءة إلى من حرمه حقه بشهادته وخذله في حين حاجته إلى نصرته فليتق الله شاهد الزور وقائل الزور وليتب إلى الله قبل أن يوقف بين يدي أحكم الحاكمين وأعدل العادلين الذي سيقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، ليتب إلى الله قبل أن يُساق إلى جهنم مع المجرمين، فوالله لو علم ما أعد الله له من الخزي العاجل والعذاب الأليم في الآخرة لتمنى أن لسانه قطع قبل أن ينطق بشهادة زور أو كلمة زور، فاتقوا الله أيها المسلمون: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا» [الإسراء: ٣٦].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن بين يدي الساعة ظهور شهادة الزور، وكتمان الحق». [أحمد، والبخاري].

وهذا حديث فيه علم من أعلام النبوة.

ولعظم تحريمها قرنها الله - عز وجل - بالشرك، قال الله تعالى: «فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ» [الحج: ٣٠]. وقد نهى الله تعالى عن كتمان الشهادة لقوله تعالى: «وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» [البقرة: ٢٨٣].

قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا» [النساء: ١٣٥].

قوله: «عدلت شهادة الزور الشرك بالله» وإنما عادلته لقوله تعالى: «وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ» [الفرقان: ٦٨]. وقال أبو جعفر الطبري في تفسير هذه الآية: وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به، ويدخل فيه الغناء؛ لأنه أيضًا مما يحسنه ترجيع الصوت حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضًا قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه، حتى يظن صاحبه أنه حق، فكل ذلك يدخل في معنى الزور.

وقال ابن حجر معقبًا على ما ذكره الإمام البخاري في باب ما قيل في شهادة الزور، لقول الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ» [الفرقان: ٧٢] أشار (البخاري) بذلك إلى أن الآية سيقت في ذم متعاطي شهادة الزور، وهو اختيار منه لأحد ما قيل في تفسيرها، وقيل: المراد بالزور هنا الشرك، وقيل: الغناء، وقيل غير ذلك. قال الطبري: أولى الأقوال عندنا أن المراد به مدح من لا يشهد شيئًا من الباطل. والله أعلم.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة قدوم هامة بن هيم على النبي صلى الله عليه وسلم وإسلامه

الحلقة «١٤٤»

إعداد / علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة القصاص والوعاظ، واغتر الكثيرون بها لوجودها في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم بيان تخريجها وتحقيقها.

أولاً: «متن القصة»

رُوِيَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بَيْنا نحن قعود مع النبي صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة؛ إذ أقبل شيخ بيده عصا، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام، ثم قال: نغمة جن وغمغمتهم من أنت؟

قال: أنا هامة بن هيم بن لاقيس بن إبليس.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فما بينك وبين إبليس إلا أبوان، فكم أتى عليك من الدهور؟

قال: أفنيت الدنيا عمرها إلا قليلاً، ليالي قتل قابيل كنت غلامًا ابن أعوام أفهم الكلام وأمر بالآكام، وآمر بفساد الطعام وقطيعة الأرحام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بئس عمل الشيخ المتوسم، والشاب المتلوم، قال: ذرني من الترداد إني تائب إلى الله عز وجل.

إني كنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكاني وقال: لا جرم إني على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

قال: قلت: يا نوح، إني كنت ممن اشترك في دم السعيد الشهيد هابيل بن آدم فهل تجد لي عند ربك توبة؟

قال: يا هام همَّ بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة، إني قرأت فيما أنزل الله عز وجل: أنه ليس من عبد تاب إلى الله عز وجل بالغ أمره ما بلغ إلا تاب الله عليه، قم فتوضأ واسجد لله سجدتين، قال: ففعلت من ساعتي ما أمرني

به فناداني، ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء، قال: فخررت لله ساجدًا جزلًا.

وكنت مع هود في مسجده مع من آمن من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني، فقال: لا جرم إني على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

وكنت مع صالح في مسجده مع من آمن من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني، فقال: أنا على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

وكنت زوّار يعقوب.

وكنت مع يوسف بالمكان الأمين.

وكنت ألقى إلياس بالأودية وأنا ألقاه الآن.

وإني لقيت موسى بن عمران فعلّمني من التوراة، وقال: إن لقيت عيسى يعني ابن مريم فأقرئه عن موسى السلام، وإن عيسى قال: إن لقيت محمدًا فأقرئه مني السلام.

قال: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه فبكى، ثم قال: وعلى عيسى السلام ما دامت الدنيا، وعليك السلام يا هام بأدائك الأمانة.

قال: يا رسول الله، افعل بي ما فعل موسى: إنه علمني من التوراة.

فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ»، و«المرسلات»، و«عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ»، و«إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»، و«المعوذتين»، و«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ».

وقال: ارفع إلينا حاجتك يا هامة، ولا تدع زيارتنا، قال: عمر: فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعد إلينا فلا ندري الآن أحي هو أم ميت؟». اهـ.

ثانيًا: التخريج

الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية أخرجه الإمام الحافظ البيهقي في «دلائل النبوة» (٤١٨/٥) باب: «ما روي في قدوم هامة بن هَيْم بن لاقيس بن إبليس على النبي صلى الله عليه وسلم وإسلامه» قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن داود العلوي – رحمه الله – أنبأنا أبو نصر: محمد بن حمدويه بن سهل الغازي المروزي، حدثنا عبد الله بن حماد الآملي، حدثنا محمد بن أبي معشر، أخبرني أبي، عن نافع عن ابن عمر قال: قال عمر رضي الله عنه: بينما نحن قعود مع النبي صلى الله عليه وسلم... القصة.

ثالثًا: التحقيق

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة علته أبو معشر:

١- في «سؤالات» عثمان بن سعيد الدارمي لأبي زكريا يحيى بن معين البغدادي سؤال (٨٢٩) قال: «وسألته عن أبي معشر المديني؟ فقال: «اسمه نجيح، ضعيف».

٢- قال الإمام الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٦٩٨٠/٤٧/١٩):

أ- «نجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر المدني، وهو والد محمد بن أبي معشر المدني، روى عن نافع مولى ابن عمر وآخرين، وروى عنه ابنه محمد بن أبي معشر وإسحاق بن بشر الكاهلي وآخرين».

ب- وقال أحمد بن أبي يحيى: سمعت يحيى بن معين يقول: «أبو معشر السندي ليس بشيء، كان أُميًّا».

جـ- وقال عباس الدوري، وعثمان بن سعيد الدارمي، ومعاوية بن صالح عن يحيى بن معين: ضعيف.

زاد عباس، ومعاوية: إسناده ليس بشيء، يكتب رقاق الحديث من حديثه.

د- وقال أحمد بن سعد بن أبي مريم عن يحيى بن معين: ضعيف وكان رجلًا أُميًّا يُتقى أن يُروى من حديثه المسند.

هـ- وقال أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين: أبو معشر السندي ليس بشيء أبو معشر، قال: وسمعته مرة يقول: ليس حديثه بشيء.

و- وقال البخاري: منكر الحديث.

ز- وقال أبو صالح بن محمد الحافظ: لا

يسوى حديثه شيئًا.

ح- وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة: وسألت علي بن المديني عن أبي معشر: كان شيخًا ضعيفًا ضعيفًا، ويحدث عن المقبري، وعن نافع بأحاديث منكرة.

ط- وقال عمرو بن علي: ما روى أبو معشر عن المقبري، وهشام بن عروة، ونافع، وابن المنكدر: رديئة لا تُكتب».

ي- وقال أبو بكر بن أبي خيثمة أيضًا: سمعت محمد بن بكار الريان، يقول: قد كان أبو معشر تغير قبل أن يموت تغيرًا شديدًا». اهـ.

قلت: انتهى ما نقله الإمام الحافظ المزي من أقوال أئمة الجرح والتعديل في أبي معشر، خاصة قول أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري الذي جاء إليه الإمام مسلم فقبَّل بين عينيه، وقال: «دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله». اهـ. كذا في «هدي الساري» ص(٥١٣).

قُلْتُ: وتركيز الإمام المزي على أقوال الإمام يحيى بن معين له أهميته عند أهل الصنعة الحديثية؛ حيث إن الإمام يحيى بن معين من المعاصرين لأبي معشر يتبين ذلك من قول الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٥٨/٢): «يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم أبو زكريا البغدادي ثقة حافظ مشهور إمام الجرح والتعديل، من العاشرة، مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين بالمدينة المنورة، وله بضع وسبعون سنة، روى له الجماعة». اهـ.

والعاشرة: هي طبقة كبار الآخذين عن تبع الأتباع، وقال في ترجمة أبي معشر في «التقريب» (٢٩٨/٢): «نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني أبو معشر مشهور بكنيته، ضعيف من السادسة، اختلط، مات سنة سبعين ومائة». اهـ.

والسادسة: كما قال المناوي من طبقة كبار أتباع التابعين، حيث لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة.

قلت: وبهذا التحليل يتبين أن الإمام يحيى بن معين على دراية تامة بأبي معشر، وهذا من أسباب تركيز الإمام المزي على قول الإمام يحيى بن معين.

٣- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٦٠/٣): «نجيح السندي أبو معشر مولى أم موسى من أهل المدينة، وأم موسى هي أم المهدي يروي عن محمد بن عمرو، ونافع، وهشام بن عروة روى عن العراقيين، مات سنة سبعين ومائة في رمضان، وكان ممن اختلط في آخر عمره، وبقي قبل أن يموت سنتين في تغير شديد لا يدري ما يحدث به، فكثر المناكير في روايته من قِبل اختلاطه؛ فبطل الاحتجاج به».

ثم قال: أخبرنا الهمداني قال: حدثنا عمرو بن علي قال: كان يحيى القطان لا يحدث عن أبي معشر المدني ويستضعفه جدًا ويضحك إذا ذكره». اهـ.

قلت: والإمام يحيى القطان من المعاصرين لأبي معشر أيضًا يتبين ذلك من قول الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٤٨/٢): «يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي أبو سعيد القطان ثقة متقن حافظ، إمام قدوة من كبار التاسعة مات سنة ثمان وتسعين ومائة، وله ثمان وسبعون، روى له الجماعة». اهـ.

٤- وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٠١٧/٢٤٦/٤) قال: «نجيح أبو معشر السندي الهاشمي مولاهم المدني صاحب المغازي، روى عنه ابنه محمد».

ثم أقرَّ أقوال أئمة الجرح والتعديل في أبي معشر حيث قال: «قال البخاري وغيره: منكر الحديث، وقال علي: كان يحيى بن سعيد يستضعفه جدًا ويضحك إذا ذكره، وقال ابن أبي شيبة: سألت ابن المديني عن أبي معشر فقال: شيخ ضعيف، ثم قال: كان يحدث عن نافع بأحاديث منكرة، وقال ابن معين: كان أميًا يتقى من حديثه المسند، ثم بيَّن الإمام الذهبي كثيرًا من الأحاديث المنكرة لأبي معشر حيث قال: ومن مناكيره ثم ذكرها ليستبين لمن لا يعرف مناهج المحدثين من أئمة الجرح والتعديل مدى

اهتمامهم بنقد المتون حتى يحكموا على الراوي بأنه منكر الحديث

٥- بعد أن تبين الجرح الشديد لأبي معشر، وأنه ليس بشيء، ، منكر الحديث ، لا تحل الرواية عنه، أحاديثه عن نافع منكرة، وهذه القصة الواهية قصة «قدوم هامة بن هيم على النبي صلى الله عليه وسلم وإسلامه» من رواية أبي معشر عن نافع فهي باطلة منكرة.

وفوق هذا الجرح الشديد اختلاطه في آخر عمره، وتغيره الشديد حتى لا يدري ما يحدث، ولذلك كان الإمام يحيى القطان لا يحدث عنه واستضعفه جدًا، وبهذا تصبح القصة منكرة بل موضوعة.

٦- وهذا ما بينه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩٣/٥) حيث أورد هذه القصة كاملة في أكثر من ثلاثين سطرًا نقلاً عن الحافظ أبي بكر البيهقي من «دلائل النبوة» قدم لها قائلاً: «وقد أورد الحافظ أبو بكر هاهنا حديثًا غريبًا جدًا بل منكرًا أو موضوعًا». ثم ذكر القصة قائلاً:

«والعجب منه فإنه في دلائل النبوة: باب قدوم هامة بن هيم بن لاقيس بن إبليس على النبي صلى الله عليه وسلم، وسلم وإسلامه». ثم ذكر القصة.

رابعًا: طريق آخر للقصة تالف

وحتى لا يتقول علينا من يتوهم أن هناك طريقًا آخر للقصة أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٩٨/١) والسيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١٧٤/١)، وابن حبان في «المجروحين» (١٣٦/١) قال: حدثنا محمد بن سهل بن حماد الخلاب بتستر حدثنا عمار بن يزيد المفسر حدثنا إسحاق بن بشر، حدثنا أبو معشر عن نافع عن ابن عمر عن عمر، قال: بينما أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة.. القصة.

قلت: يتبين من هذا الطريق أن القصة من طريق إسحاق بن بشر عن أبي معشر، وطريق البيهقي في «الدلائل» من رواية «محمد بن أبي معشر عن أبيه».

فالمتابعة هنا لمحمد بن أبي معشر ولم تكن لأبي معشر فتبقى القصة واهية بما بيناه من الجرح الشديد لأبي معشر بل تزداد القصة بهذا الطريق وهنًا على وهن، حيث إن إسحاق بن بشر الذي روى القصة من هذا الطريق عن أبي معشر تالف؛ حيث قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١٣٥/١): إسحاق بشر الكاهلي كنيته أبو حذيفة القرشي كان يضع الحديث على الثقات، ويأتي بما لا أصل له عن الأثبات.

٢- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٤٠/١٨٦/١): إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي الكوفي عن أبي معشر، قال مطين ما سمعت أبا بكر بن أبي شيبة كذّب أحدًا إلا إسحاق بن بشر الكاهلي، وكذا كذّبه موسى بن هارون، وأبو زُرعة. وقال الفلاس وغيره: متروك. وقال الدارقطني هو في عداد من يضع الحديث.

ثم قال الإمام الذهبي: «لا أعلم أشنع من الحديث الذي رواه العقيلي، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا إسحاق بن بشر الكاهلي، حدثنا أبو معشر، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قال: بينما نحن قعود مع النبي صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة إذا أقبل شيخ في يده عصا، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فرد عليه السلام، ثم قال: نغمة الجن وغنهم أنت من؟ قال: أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس». القصة.

قلت: بهذا الكذاب تزداد القصة وهنًا على وهن، لا كما يظن البعض أن كثرة الطرق تقوّي القصة، ولكن هيهات، فالمتابعة في هذا الطريق لم تكن لأبي معشر ولكن للراوي عنه وهو ابنه محمد بن أبي معشر، كما بينا آنفًا، فبقى أبو معشر على ضعفه الشديد حتى جاء هذا الكذاب ليروي عنه ليزيد القصة ضعفًا.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

فتاوى المركز العام

زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم

يسأل أبو عمار يقول:

ما هي آداب زيارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والوقوف أمام قبره الشريف؟

الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

إذا كان الإنسان في المدينة وصلى في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقصد قبره زائرًا فهذا سُنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة» وفي لفظ آخر تذكركم الموت» رواه مسلم وغيره. وقد فعلها النبي صلى الله عليه وسلم، وفعلها أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم.

فإذا وصل الزائر المسجد صلى فيه ما تيسر ثم زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وزار قبر صاحبيه وصلى وسلم عليه. عليه الصلاة والسلام ودعا له، ثم سلم على الصديق رضي الله عنه ودعا له، ثم على الفاروق رضي الله عنه ودعا له، هكذا السنة، يزوره ويصلي ويسلم عليه، والسنة أن يستقبل القبر ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم ثم يسلم على صاحبيه رضي الله عنهما.

وقت صلاة الجمعة

ويسأل أ / فتحي إدريس . مسجد الهجرة . ولاية فرجينيا يقول:

إنه كان في أمريكا لمدة ٦ شهور، ووجد أن صلاة الجمعة تقام في أوقات مختلفة من بعد الشروق حتى العصر، وكان يجد بعض المساجد يصلي الساعة١٢ ظهراً، والبعض الساعة ١ والبعض الساعة ٢، بثلاث خطب وثلاثة أئمة، فما حكم ذلك؟

الجواب: في تحديد أول وقت صلاة الجمعة خلاف بين العلماء، فذهب أكثر الفقهاء إلى أن أول وقتها هو أول وقت الظهر وهو زوال الشمس، فلا تجوز صلاتها قبل الزوال بكثير ولا قليل، ولا تجزئ؛ لقول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: «كنا نجمّع مع النبي صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس، ثم نرجع نتتبع الفيء» رواه البخاري ومسلم.

ولقول أنس رضي الله عنه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة حين تميل الشمس» رواه البخاري.



وذهب الإمام أحمد بن حنبل وجماعة إلى أن أول وقتها هو أول وقت صلاة العيد، أما الزوال فهو أول وقت وجوب السعي إليها، واستدلوا لجواز صلاتها قبل الزوال بقول جابر رضي الله عنه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي -يعني الجمعة- ثم

نذهب إلى جمالنا فنريحها حين تزول الشمس» رواه مسلم. ولقول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: «كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة ثم ننصرف وليس للحيطان فيء» رواه أبو داود.

ويجمع بين الأحاديث: بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصليها بعد الزوال أكثر الأحيان، ويصليها قبل الزوال أو قريبًا منه أحيانًا.

وعلى هذا فالأولى أن تُصلى بعد الزوال رعاية للأكثر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وخروجا من الخلاف، وهذا مما يدل على أن المسألة اجتهادية، وأن فيها سعة، فمن صلى قبل الزوال قريبًا منه فصلاته صحيحة إن شاء الله، ولا سيما مع العذر.

العمل في البنوك الربوية

يسأل سائل:

هل يجوز العمل في البنوك الربوية مع العلم أنها وظيفتي الأساسية؟

ج: لا ريب أن العمل في البنوك التي تتعامل بالربا غير جائز؛ لأن ذلك إعانة على الإثم والعدوان، وقد قال الله سبحانه: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» [المائدة: ٢]، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنه لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء»، أخرجه مسلم في صحيحه.

المعاشات

ويسأل سؤالا ثانيًا يقول:

هل يجوز أخذ المعاش من مهنة المحاماة مع العلم أني لا أمارس هذه المهنة؟

الجواب: ما دمت تدفع ما تفرضه عليك أنظمة الدولة من المعاشات الشهرية، فلا مانع من صرفها عند استحقاقها؛ طبقًا للوائح الدولة في صرف المعاشات.

التعليم المختلط

ويسأل سؤالاً ثالثاً يقول:

هل يجوز أن أبقى وأستمر في كلية مختلطة؟

والجواب: المسلم الحريص على إرضاء ربه ينبغي له أن يسأل هذه الأسئلة قبل الوقوع فيها، لأن الاختلاط في الجامعات وغيرها محرم في دين الله تعالى لقوله: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ» [الأحزاب: ٥٣]. فلا يجوز للمسلم أن ينغمس في مستنقع الفتنة خاصة في هذا الزمن الصعب المنفلت، الذي كثرت فيه صنوف التبرج الذي لم يره النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون في الجاهلية الأولى؛ قال صلى الله عليه وسلم: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»[صحيح مسلم ٣/ ١٦٨٠]

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» أخرجه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

فإذا كنت أيها السائل قد أمضيت أكثر سنواتك في هذا المكان فاجتهد أن تنتهي منه وتنجز ما بقي من أعوامك، مجتهدًا في غض بصرك لقول الله

تعالى: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ» [النور: ٣٠]. وعدم تحديث الشابات من غير ضرورة؛ لأنهن يخضعن بالقول ويفتن الشباب، والله تعالى يقول: «فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ» [الأحزاب: ٣٢].

كما عليك ألا تصاحب فتاة بدعوى الحب الشريف وطهارة القلب، فكل ذلك حرام، قال الله تعالى: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [المائدة: ٥].

وفي تأويل قوله تعالى: «مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ» قال أبو جعفر الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه: أحل لكم - في الزواج - المحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، وأنتم محصنون غير مسافحين ولا متخذي أخدان.

ويعني بقوله جل ثناؤه: "محصنين"، أعفاء "غير مسافحين"، يعني: لا معالنين بالسفاح بكل فاجرة، وهو الفجور "ولا متخذي أخدان"، يقول: ولا منفردين ببغيّة من البغايا، قد خادنها وخادنته، واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها.[تفسير الطبري ٩/ ٥٩٠].

«فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» واجتهد أيها السائل ومن على شاكلتك في النجاة من هذا الشر وتلك الفتنة قبل أن تنشب فيها وتهلكك شراكها.

حكم الشطرنج

يسأل أحمد إسماعيل - دمنهور- ش المحطة: يقول: ما حكم لعب الشطرنج وهل هو محرم أو يختلف فيه العلماء؟

والجواب: يرى بعض العلماء كَرَاهَةَ الشِّطْرَنْجِ؛ لأَنَّهُ وُضِعَ لِصِحَّةِ الْفِكْرِ وَالتَّدْبِيرِ فَهُوَ مُعِينٌ عَلَى الْحُرُوبِ، وكذا أَفْتَى بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ بِكَرَاهَتِه.

وقال بعضهم: مَتَى اقْتَرَنَ بِلَعِبِ الشِّطْرَنْجِ شَرْطُ مَالٍ مِنْ الْجَانِبَيْنِ، أَوْ فُحْشٌ، أَوْ لَعِبٌ مَعَ مُعْتَقِدِ تَحْرِيمِهِ، أَوْ تَأْخِيرُ الْفَرِيضَةِ عَنْ وَقْتِهَا عَمْدًا، وَكَذَا سَهْوٌ وَتَكَرَّرَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ أدواته مُصَوَّرَةً بِصُوَرِ الْحَيَوَانِ فَهُوَ حَرَامٌ، وَإِلَّا فَهُوَ مَكْرُوهٌ.

خلاصة القول بالنسبة لحكم الشطرنج أن البعض يرى حرمة اللعب بالشطرنج، وهذا ما عليه بعض الحنفية وما عليه إجماع المذهب الشافعي، في حالة ما إذا كان اللعب على سبيل المقامرة، وهذا ما قال به بعض المالكية، إذا كان مع الأوباش أو ألهى عن الصلاة، وهو مذهب بعض الحنابلة إذا كان على مال أو أدى إلى ترك واجب أو فعل محرم.

ويرى البعض كراهية اللعب بالشطرنج، وهذا ما عليه الصاحبان أبو يوسف ومحمد، وهذا ما قال به المالكية في أصل مذهبهم، وهو قول عند الشافعية، طالما أنه لم يكن على سبيل المقامرة، وبه قال بعض الحنابلة إذا خلا من مسالك القول بالتحريم.

ويرى البعض جواز اللعب بالشطرنج، وإلى هذا ذهب بعض الحنفية، وبعض المالكية طالما كان اللعب به غير مؤدٍ إلى ترك مهم أو عبادة، وكان مع نظير اللاعب. والله تعالى أعلى وأعلم.



بحوث فقهية

أحكام قنوت النوازل في الفقه الإسلامي

الحلقة الأولى

إعداد / د. عبود بن علي بن درع

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فأكتب هذا البحث في أيام وليال عصيبة تمر بالعالم عامة، وبالعالم العربيً والإسلامي خاصة، في شهور متلاحقة، بعضها إثر بعض بما يحدث الآن في بعض هذه البلاد من فتن عظيمة، وما قد يحدث من الفتن في بعضها؛ في موجة لم يسبق لها مثيل، وأصبحت الأوضاع صعبة، والفتن في الدين عظيمة، ولاسيما مع الاستنفار الطائفي الذي يزداد يومًا بعد يوم، إضافة إلى الانفلات الأمني، والحروب الأهلية، وانتشار الفوضى، وتربص الأعداء بنا، مع الجهل والفقر والبطالة التي تُعَدّ من الأسباب الرئيسة في حدوث هذه الفتن.

وأصبحت تسمع في كل بلد تمر به هذه المصائب والفتن والابتلاءات، فلا مناص إلا العودة إلى الله - عز وجل - واللجوء إليه سبحانه بالتضرع والدعاء في رفع هذه المحن.

فما إن تنقضي نازلة حتى تجيء فاجعة تطيش لها عقول المؤمنين وأفئدتهم؛ نوازل يُنْسِي آخرها أولها، وتجعل الحليم حيران.

فالأمة الإسلامية أحاطت بها الخطوب من كل حدب وصوب، مجاعة وحروب طاحنة، وعدو متربص، وحقد دفين من الأعداء، فلا يريدون أن تقوم للإسلام قائمة.

أسباب مآسي المسلمين المتكررة:

وإن مآسي المسلمين المتكررة، وهزائمهم المتلاحقة في هذه العصور المتأخرة، إنما هي بسبب تهاونهم في دين الله، وترك بعضهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكثرة المعاصي، فهي سبب كل عناء، وما حلت في ديار إلا أهلكتها، ولا فشت في مجتمعات إلا دمرتها، وما أصاب الناس من ضرّ وضيق إلا بسببها، فهي مزيلة للنعم، جالبة للنقم، مؤدية إلى الهلاك والدمار.

ومن أهم ما يُستدفع به هذا الخضم المتلاطم من الفتن والنوازل الكبيرة بعد الإيمان بالله وشريعته هو الدعاء، فهو السلاح الذي يُستدفع به البلاء، ويُرد به شر القضاء، به تكون حياة القلوب، وتفريج الكروب، وإغاثة اللهفان، وتنزل الرحمات، والنصر على الأعداء.

إن الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، وهو من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدافعه، ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل.

وقد اخترت الكتابة في الموضوع وأسميته «أحكام قنوت النوازل في الفقه الإسلامي»، راجيًا من المولى القدير الهدى والسداد، والإعانة والتوفيق.

التمهيد

إن القارئ لنصوص الكتاب والسنة يلحظ أن لنزول المصائب والمحن سببين، وهما: الابتلاء والعقاب. وفيما يلي بعض تفصيل ذلك.

١- نزول المصائب ابتلاءً:

دلّت عدة نصوص على أن الله - جل جلاله - يبتلي عباده المؤمنين بأنواع من المحن والمصائب، ومنها ما يلي:

أ- قال جل جلاله: «وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» [البقرة: ١٥٥].

قال الحافظ ابن كثير: «أخبرنا تعالى أنه يبتلي عباده، أي يختبرهم ويمتحنهم، فتارةً بالسراء وتارة بالضراء من خوف وجوع، «وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ» أي: ذهاب بعضها، «وَالْأَنْفُس» كموت الأصحاب والأقارب والأحباب، «والثمرات» أي: لا تغل الحدائق والمزارع كعاداتها». اهـ.

وقال الشيخ السعدي: «أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذا سنته في عباده؛ لأن السراء لو استمرّت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة لحصل الفساد والإعراض، وحكمة الله تعالى تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر، فأخبر تعالى في هذه الآية أنه سيبتلي عباده «بشيء من الخوف» من الأعداء «والجوع» أي بشيء يسير منها «ونقص من الأموال»، وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جوائح سماوية، وغرق وضياع، وأخذ الأموال من قبل الظلمة، وقطاع الطرق وغير ذلك، «والأنفس» أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه «والثمرات» أي: الحبوب، وثمار النخيل، والأشجار كلها، والخضر، ببرد أو حرق آفة سماوية من جراد ونحوه. فهذه الأمور لا بدّ أن تقع ؛ لأن العليم الخبير أخبر بها، فوقعت كما أخبر». اهـ.

ب- قال الله عز وجل: «أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» [العنكبوت: ٢- ٣].

قال الحافظ ابن كثير: «استفهام إنكار، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان».

وقال الشيخ السعدي: «يخبر تعالى عن تمام حكمته، وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال: «إنه مؤمن» وادّعى لنفسه الإيمان أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوّش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب والمحق من المبطل، ولكن سنته وعادته في الأولين، وفي هذه الأمة أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل، ونحو ذلك من الفتن».

ج- روى الإمامان الترمذي وابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» يُبتلى العبد على حسبه دينه، فإن كان في دينه صُلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه. فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه من خطيئة». [صحيح سنن الترمذي: ٢/٢٨٦].

قال الملا علي القاري في شرح الحديث: «الأنبياء»: أي: هم أشدّ في الابتلاء. (ثم الأمثل فالأمثل): قال ابن الملك: أي الأشرف فالأشرف، والأعلى فالأعلى رتبة ومنزلة، يعني: من هو أقرب إلى الله، بلاؤه أشد ليكون ثوابه أكثر. (يبتلى الرجل على حسب دينه): أي: مقداره ضعفًا وقوة ونقصًا وكمالاً.

٢- نزول المصائب عقابًا:

دلت عدة نصوص على أن ما أصاب الناس من مصائب، فإنها بسبب ذنوبهم. ومن تلك النصوص ما يلي:

أ- قال جل جلاله: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» [الشورى: ٣٠].

قال الحافظ ابن كثير: «أي مهما أصابكم أيها الناس من المصائب، فإنما هي من سيئات تقدمت لكم، «وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» [الشورى: ٣٠] أي: من السيئات، فلا يجازيكم عليها، بل يعفو عنها».

وقال الشيخ السعدي: «يخبر تعالى أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم، وأموالهم، وأولادهم، وفيما يحبون، ويكون عزيزًا عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد، ولكن أنفسهم يظلمون».

تنبيهات:

لعله من المناسب هنا الإشارة إلى الأمور التالية في هذا المقام:

أولاً: المستفاد من الآية نزول عموم المصائب:

يُستفاد نزول عموم المصائب بسبب الذنوب من وقوع النكرة في سياق النفي، ودخول «مِنْ» الاستغراقية عليها.

ثانيًا: كون الآية مخصوصة بأصحاب الذنوب من المسلمين:

قال العلامة الألوسي في تفسير هذه الآية: «والآية مخصوصة بأصحاب الذنوب من المسلمين وغيرهم، فإن من لا ذنب له كالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قد تصيبهم مصائب. ففي الحديث: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» [صحيح سنن الترمذي: ٢/٢٨٦] ويكون ذلك لرفع درجاتهم أو لحِكَم أخرى خفيت علينا، وأما الأطفال والمجانين فقيل: غير داخلين في الخطاب؛ لأنه للمكلفين، وبفرض دخولهم أخرجهم التخصيص بأصحاب الذنوب، فما يصيبهم من المصائب فهو لحكم خفية».

ثالثًا: نسبة السلف المصائب النازلة بهم إلى ذنوبهم:

الصالحون من سلف الأمة، ما كان يصيبهم من مصيبة إلا وكانوا ينسبونها إلى ذنوبهم، وفيما يلي بعض شواهد ذلك.

١- أخرج ابن سعد عن أبي مليكة أن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها كانت تُصدَع، فتضع يدها على رأسها، وتقول: «بذنبي، وما يغفره الله تعالى أكثر».

٢- قال مرة الهمداني: رأيت على ظهر كف شريح قرحة، فقلت: يا أبا أمية! ما هذا؟ قال: «هذا بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير».

رابعًا: اجتناب المعاصي الموجبة للعقوبات الدنيوية:

١- كون المعاصي سبب البلايا والآفات:

إن المعاصي هي السبب لما يُصيبنا من البلايا والآفات، قال عز وجل: « وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ » [الشورى: ٣٠]، وهي التي تُحدث أنواعًا من الفساد في الأرض كما قال الله عز وجل: « ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» [الروم: ٤١].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله مبينًا أثر الذنوب في إزالة النعم وحلول النقم: «ومن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتُحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بسبب الذنوب، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رُفع بلاء إلى بتوبة».

وقال تعالى: « وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ » [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ» [الرعد: ١١]، فأخبر تعالى أنه لا يغير نعمته التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغيّر ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غُيِّر غُيِّر عليه، جزاءً وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد.

فإن غيَّر المعصية بالطاعة، غيّر عليه العقوبة بالعاقبة، والذل بالعزّ، قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ » [الرعد: ١١].

وقد أحسن القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها
فإن الذنوب تزيل النعم
وحُطها بطاعة رب العباد
فربُّ العباد سريع النقم

وقال رحمه الله مبينًا أثر المعاصي في إحداث الفساد في الأرض: «ومن آثار الذنوب والمعاصي: أنها تُحدث في الأرض أنواعًا من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن، قال الله تعالى: « ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» [الروم: ٤١]، وقال: ومن تأثير معاصي الله في الأرض ما يحل بها من الخسف والزلازل، ويمحق بركتها.

فمن رغب في وقاية نفسه من المصائب والبلايا والعقوبات، فعليه أن يبتعد عن كل معصية.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية العدد ٩٣ لسنة ١٤٣٣هـ.

شكر المُنعِم عبادة منسية

إعداد/ عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمد لله رب العالمين، سبحانه وتعالى، له الحمد الحسن والثناء الجميل، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن شكر الله تبارك وتعالى خُلق نبيل من أخلاق الفضلاء، ومن أخص عبادات الصالحين، ومن العبادات المهجورة في هذا الزمان، فقلما تجلس مع أحد أو تصارح أحدًا إلا والكل يشكو الغلاء، والحاجة، والأولاد، والديون، ومصاريف الأبناء، والمرض.... في سلسلة غير متناهية من شكاية الأحوال للناس وعدم شكر المنعم جل وعلا، مع أن نعم الله تعالى علينا كثيرة، ومننه غزيرة، وفضله كبير، فكم من خير أعطاه! وكم من معروف أسداه! وكم من بلية دفعها! وكم من نقمة ردها! وكم من مريض شفاه! وكم من غائب رده! وكم من أسير فكه! وكم من جبار قصمه! وصغير نمّاه، وعائل أغناه، وذنوب سترها، ومصائب كفها...!! ومع هذا؛ قلَّ مَنْ تجلس إليه فتراه يقول لك: الحمد لله، سترني، وكفاني، وآواني، ومن خيره أعطاني...بل تجد مر الشكوى، وصدق الله تعالى: «وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» [إبراهيم:٣٤].

الشكر في الكتاب والسنة:

أمر الله تعالى عباده بشكره والاعتراف بفضله، قال سبحانه: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ» [البقرة:١٥٢].

وقال: «أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ» [لقمان:١٤].

وأخبر سبحانه أنه لا يعذب الشاكرين من عباده؛ فقال سبحانه: «مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا» [النساء:١٤٧].

وأخبر سبحانه أن حفظ النعم واستمرارها وعدم زوالها وزيادتها مقرون بالشكر؛ فقال عز وجل: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» [إبراهيم: ٧].

وقسّم الله الناس إلى شكور وكفور، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله قال تعالى: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا» [الإنسان:٣]. وقال سبحانه: «إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ» [الزمر:٧].

وبيّن سبحانه أن الشاكرين هم المخصوصون بفضله ومنته عليهم من بين عباده فقال سبحانه: «وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ» [الأنعام:٥٣». وبيّن الله سبحانه أن الشاكرين قليل من عباده، وأن أكثر الناس على خلاف هذه الصفة، قال سبحانه: «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» [سبأ:١٣].

وأخبر سبحانه أن رضاه في شكره فقال تعالى: «وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ» [الزمر:٧].

كما بيّن سبحانه أن الشكر هو أفضل الخصال وأعلاها، ولذلك أثنى به على خليله إبراهيم وجعله غاية صفاته، فقال تعالى: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ..» [النحل: ١٢٠، ١٢١].

وعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ

إلاَّ لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» [مسلم ٢٩٩٩].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليرضى عن العبد: أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها» [مسلم ٢٧٣٤].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: «والله إني لأحبك، فلا تنسى أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» [أبو داود ١٥٢٢ وصححه الألباني].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصبح وإذا أمسى يقول: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك؛ فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر»، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن من قالها حين يصبح؛ فقد أدّى شكر يومه، ومن قالها حين يمسي؛ فقد أدّى شكر ليلته. [أبو داود ٥٠٧٣ وحسنه ابن حجر والنووي].

معنى الشكر وحقيقته:

الشكر من أعلى المنازل، وأرقى المقامات، وهو نصف الإيمان، فالإيمان نصفان: نصف شكر ونصف صبر. والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور. وحبّه له. واعترافه بنعمته. وثناؤه عليه بها. وألا يستعمل النعمة فيما يكره المنعم.

فالشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وإضافة النعم إلى مسديها، والثناء على المنعم بذكر إنعامه، وعكوف القلب على محبته، والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره.

أقسام الشكر:

قال الإمام ابن رجب: «والشكر بالقلب واللسان والجوارح».

فالشكر بالقلب: الاعتراف بالنعم للمنعم، وأنها منه وبفضله. ومن الشكر بالقلب: محبة الله على نعمه. قال بعضهم: إذا كانت القلوب جُبلت على محبة من أحسن إليها، فواعجباً لمن لا يدري محسناً إلا الله، كيف لا يميل بكليته إليه؟!

- والشكر باللسان: الثناء بالنعم وذكرها وتعدادها وإظهارها، قال الله تعالى: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» [الضحى:١١].

- والشكر بالجوارح: أن يُستعان بالنعم على طاعة الله عز وجل، وأن يحذر من استعمالها في شيء من معاصيه، قال الله تعالى: «اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا» [سبأ:١٣].

جحود نعم الله من شيم الغافلين:

قال الله تعالى: «إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ» [العاديات: ٦- ٧].

قال الشنقيطي في أضواء البيان: «قوله تعالى: «إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ» قال القرطبي: الكنود الكفور، الجحود لنعم الله، وهو قول ابن عباس. وقال الحسن: يذكر المصائب، وينسى النعم...

وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أبشركم بشراركم؟» قالوا بلى يا رسول الله قال: «من نزل وحده، ومنع رفده، وجلد عبده» [الطبراني (١٠/٣١٨، رقم ١٠٧٧٥)].

وروى ابن عباس أيضا أنه قال: «الكنود بلسان كندة وحضرموت: العاصي، وبلسان ربيعة ومضر: الكفور، وبلسان كنانة: البخيل السيئ الملكة». [أضواء البيان ٩/ ٦٤].

فهل من الشكر على نعمة الإسلام أن يتشبه المسلم والمسلمة بغير المسلمين؟ هل من الشكر على النعم ما تفعله كثير من النساء اليوم من التبرج واتباع الموضات، ولبس الملابس الفاتنة التي خرجن بها عن حدود الشرع والحياء والحشمة والعفاف؟!

هل من الشكر تضييع كثير من المسلمين للصلوات وتركهم الجمع والجماعات واتباعهم للبدع والضلالات؟ هل من الشكر

تهاون الكثير بصيام شهر رمضان وتضييع نهاره في النوم، وليله في السهر أمام شاشات التلفاز، ولعب البلوت والنرد؟

هل من الشكر تأخير كثير من المسلمين لحج الفريضة مع تمام قدرتهم واستطاعتهم؟

هل من الشكر منع الزكاة وقبض الأيدي عن الصدقات وترك الإنفاق في وجوه البر والخير؟

هل من الشكر محاربة الله عز وجل عن طريق التعامل بالربا والعمل في مؤسساته؟ هل من الشكر إهدار الأموال الطائلة في جلب الدخان والمخدرات والمسكرات وغيرها من السموم القاتلة؟

هل من الشكر استخدام نعمة الهاتف في المعاكسات وتضييع الأوقات، وفيما يغضب الله عز وجل؟

هل من الشكر ما يفعله كثير من الأغنياء اليوم من السرف وإهانة النعمة، وإلقاء الأطعمة في الصناديق مع القاذورات؟

معرفة النعم:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه؛ فقد قلَّ علمه وحضر عذابه».

إن معرفة النعمة من أعظم أركان الشكر؛ حيث إنه يستحيل وجود الشكر بدون معرفة النعمة، وذلك لأن معرفة النعمة هي السبيل إلى القيام بشكرها، فإذا عرف الإنسان النعمة توصل بمعرفتها إلى معرفة المنعم بها، ومتى عرف المنعم بها أحبه، ومحبته سبحانه تستلزم شكره.

وليست النعم مقصورة على الطعام والشراب فحسب كما يظن كثير من الناس، بل هي كثيرة لا تحصى، فكل حركة من الحركات، وكل نَفَس من الأنفاس لله تعالى فيه نعم لا يعلمها إلا هو سبحانه.

ولذلك ذُكر أن شكر العامة: يكون على المطعم والمشرب والملبس وقوة الأبدان. وشكر الخاصة: على التوحيد والإيمان وقوت القلوب.

أصناف النعم وأعظمها:

ذكرنا أن نعم الله تعالى لا تعد ولا تحصى، ولكن يمكن أن نذكر رؤوس تلك النعم:

- نعمة الإسلام والإيمان: وهي والله أعظم نعمة أنعم الله بها علينا؛ حيث جعلنا من أهل الإسلام والتوحيد، ولم يجعلنا من الذين سبُّوا الله عز وجل، أو الذين عبدوا غير الله، ونسبوا إليه الولد، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

قال مجاهد في قوله تعالى: « وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً » [لقمان: ٢٠]. قال: «هي لا إله إلا الله». وقال ابن عيينة: «ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرَّفهم لا إله إلا الله».

- نعمة الستر والإمهال: وهي أيضاً من أعظم النعم؛ لأن الله عز وجل لو عاجلنا بالعقوبة لهلكنا جميعًا.

قال مقاتل في قوله تعالى: «وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً». قال: «أما الظاهرة فالإسلام، وأما الباطنة: فستره عليكم المعاصي».

- نعمة التذكير: قال ابن القيم: «ومن دقيق نعم الله على العبد التي لا يكاد يفطن لها، أنه يغلق عليه بابه، فيرسل الله إليه من يطرق عليه الباب يسأله شيئاً من القوت ليعرِّفه نعمته عليه».

- نعمة فتح باب التوبة: فمن نعم الله عز وجل على عباده أنه لم يغلق باب التوبة دونهم، مهما كانت ذنوبهم ومعاصيهم، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى فتح للتوبة باباً من قبل المغرب عرضه أربعون سنة لا يغلقه حتى تطلع الشمس من مغربها» [أحمد (٤/٢٣٩)، والترمذي (٣٥٣٥)، وقال: حسن صحيح].

- نعمة الاصطفاء: وهذه النعمة يشعر بها أهل الاستقامة والورع والإقبال على الله عز وجل دون غيرهم، فالله عز وجل ثبت

هؤلاء على دينه في زمن الفتن، وصرفهم إلى طاعته في حين أنه صرف أكثر الناس عنها، وحبّبهم في الإيمان وزيّنه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وهذه من أعظم النعم التي يستحق عليها سبحانه تمام الشكر وغاية الحمد.

- نعمة الصحة والعافية وسلامة الجوارح: كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: «الصحة: الملك».

وجاء رجل إلى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله فقال له يونس: «أيسرّك ببصرك هذا مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا. قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا. قال فبرجليك مائة ألف؟ قال: لا. قال: فذكّره نعم الله عليه ثم قال له: أرى عندك مئين الألوف وأنت تشكو الحاجة».

- نعمة المال: [الطعام والشراب واللباس]: قال بكر المزني: «والله ما أدري أي النعمتين أفضل عليّ وعليكم، أنعمة المسلك؟ أم نعمة المخرج إذا أخرجه منا؟) فقال الحسن: (إنها نعمة الطعام).

وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما من عبد يشرب الماء القراح -الصافي- فيدخل بغير أذى، ويخرج بغير أذى إلا وجب عليه الشكر».

وسائل شكر النعم واستمرارها وزيادتها:

هناك كثير من الوسائل التي تعين على شكر النعم وزيادتها.. نذكر منها:

١- ترك المعاصي وعمل الصالحات: قال مخلد بن الحسين: (الشكر: ترك المعاصي)، قال الله تعالى: « مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً » [النحل ٩٧]، وقال تعالى: « فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ » [سبأ: ١٦].

٢- النظر إلى أهل الفاقة والبلاء: فإن ذلك يوجب احترام النعمة وعدم احتقارها، ولذلك قال النبي: «إذا نظر أحدكم إلى من فضّل عليه في المال والخلق؛ فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فَضُل عليه» [متفق عليه]. وفي رواية: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم».

قال النووي: قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع الخير؛ لأن الإنسان إذا رأى من فُضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها، ظهرت له نعمة الله عليه وشكرها، وتواضع وفعل فيه الخير.

٣- معرفة أن الإنسان بمنزلة العبد المملوك لسيده: وأنه لا يملك شيئاً على الإطلاق، وأن كلّ ما لديه إنما هو محض عطاء من سيده. ولذلك ثبت أن النبي قام حتى تفطرت قدماه. فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أفلا أكون عبداً شكوراً» [متفق عليه]. أي أن كل ما فعله الله تعالى بي من الاصطفاء والهداية والمغفرة هو محض عطاء منه سبحانه يستحق عليه الحمد والشكر، فما أنا إلا عبد له سبحانه.

٤- الانتفاع بالنعم وعدم كنزها: فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي قال: «كلوا واشربوا وتصدّقوا من غير مخيلة ولا سرف، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» [البيهقي في شعب الإيمان ٦١٩٦، وحسنه الألباني].

٥- الصدقة والبذل والعطاء: فإن ذلك من علامات شكر النعم، ولذلك روي أن داود عليه السلام كان يقول في دعائه: (سبحان مستخرج الشكر بالعطاء).

٦- ذكر الله عز وجل: فالشكر في حقيقته هو ذكر لله عز وجل، وورد عن مجاهد في قوله تعالى: إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا [الإسراء:٣]. قال: «لم يأكل شيئاً إلا حمد الله عليه، ولم

يشرب شراباً إلا حمد الله عليه، ولم يبطش بشيء قط إلا حمد الله عليه، فأثنى الله عليه أنه كان عبداً شكوراً). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها» [مسلم ٢٧٣٤]

٧- التواضع وترك الكِبر: فالكبر يضاد الشكر؛ لأن حقيقة الكبر هو ظن العبد أنه المالك المتصرف، والشكر هو الاعتراف لله عز وجل بذلك.

٨- شهود مشهد التقصير في الشكر: وذلك بأن يعرف العبد أنه مهما بالغ في الشكر، فإنه لن يوفى حق نعمة واحدة من نعم الله تعالى عليه، بل إن الشكر نفسه نعمة تحتاج إلى شكر.

٩- مجاهدة الشيطان والاستعاذة بالله منه: قال ابن القيّم: «ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر وأنه من أجل المقامات وأعلاها، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال: « ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ »[الأعراف:١٧]

١٠- ترك مخالطة أهل الغفلة: فإن مخالطتهم تنسي الشكر وتقطع العبد عن التفكر في النعم.

قيل للحسن: هاهنا رجل لا يجالس الناس، فجاء إليه فسأله عن ذلك، فقال: إني أمسي وأصبح بين ذنب ونعمة، فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس بالاستغفار من الذنب، والشكر لله على النعمة، فقال له الحسن: أنت عندي يا عبد الله أفقه من الحسن!!

١١- الدعاء: بأن يجعلك الله تعالى من الشاكرين، وأن يوفقك لطريق الشكر ومنزلته العالية. ولذلك ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ رضي الله عنه: «والله إني لأحبك، فلا تنسى أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» [سبق تخريجه].

أسأل الله أن يجعلني وإياكم من عباده الشاكرين، وأن يحسن لنا الختام، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

تنويه

في العدد الماضي وقع خطأ مطبعي غير مقصود في اسم كاتب مقال بعنوان رمضان شهر الأفراح فنسب المقال خطأ للأستاذ صلاح عبد المعبود ، والصواب أن كاتب المقال الأصلي هو الأستاذ صلاح عبد الخالق محمد ، لذا لزم التنويه.

التحرير

إشـــهـــار

تم بحمد الله تعالى إشهار فرع جمعية أنصار السنة المحمدية ـ فرع القصاصين بأبو عطوة - محافظة الإسماعيلية تحت رقم ٦٧٤ لسنة ٢٠١٢ طبقاً لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ م ، والله ولي التوفيق .



منبر الحرمين

إنه الله الملك الحق

إعداد / فضيلة الشيخ
ناصر بن محمد الأحمد

إن الحمد لله..

أما بعد: قال الله تعالى: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »[سورة الأعراف «١٨٠»] إن العلم بالله -سبحانه تعالى- والتعرف على أسمائه وصفاته، وعبادته بمقتضاها بعد معرفة معناها هو خلاصة الدعوة النبوية. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»، ومعنى ذلك والله أعلم أي: من حفظها وفهم معانيها ومدلولها وأثنى على الله بها وسأله بها واعتقدها دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون فعُلم أن ذلك أعظم ينبوع وخير مادة لحصول الإيمان وقوته وثباته.

فتعرفوا على الله سبحانه بمعرفة أسمائه وصفاته وما تقتضيها تلكم الأسماء والصفات من المعاني، قال ابن القيم -رحمه الله-: «فإن أعز أنواع المعارف معرفة الرب سبحانه بالجمال، وأتمّ الناس معرفة، من عرفه بكماله وجلاله وجماله سبحانه، ليس كمثله شيء في سائر صفاته، ويكفي في جماله أنه له العزة جميعاً والقوة جميعاً، والجود كله، والإحسان كله، والعلم كله، والفضل كله، ولنور وجهه أشرقت الظلمات.

فضائل دراسة أسماء الله الحسنى

أسماء الله الحسنى ينال بها كل مطلوب، ويُتوسلُ بها إلى كل مرغوب، وبملازمتها تظهر الثمرات، والاطلاع على أسرار المغيبات. فما أعظم الفاقة وأشد الحاجة إلى ما يُسكب في القلوب من عظمة علام الغيوب، سيما في هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن، وعظمت المحن، وتدفق سيل الشهوات، وكشّرت أنيابها الشبهات، وأُعلنت الحرب الشعواء على الفضائل، وصُوّبت السهام الرعناء على المكارم. ففي مثل هذه الحالة إذا استسقى القلب المحب ربه ومرّغ جبينه في محرابه، ونثر دموعه في ساحته، واستلهم معاني أسمائه وصفاته فسيمده مولاه بغيث الرحمة، وسقيا المعرفة، فإذا ضرب بعصاه الحجر انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم، عين الإخلاص، وعين الصدق وعين الحب، وعين اليقين، وعين التوكل، وعين المعرفة، وعين الرضى، وعين الصبر، وعين الأنس، وعين الافتقار، وعين الحياء، وعين الخوف، وسالت أودية بقدرها. إن عظمة أسماء الله أكبر من أن يُكشف عنها نقاب، أو يصل إلى حقيقتها وعظمتها أولو الألباب «هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » [سورة ص «٣٩»].

أعظم أسماء الله

أعظم أسمائه «الله» فما أحسن الاسم وما أجمل المسمى، كلمة حبيبة إلى القلب قريبة إلى النفس، منقوشة في الفؤاد، محفورة في الضمير، ممتزجة بالدماء. «الله» الذي تألهه القلوب بالمحبة والود والتعظيم، له الحمد كله، حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، له الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما، وملء ما شاء من شيء بعد، له الحمد حتى يرضى، وله الحمد بعد الرضى، له الحمد عدد خلقه وزنة عرشه ورضا نفسه ومداد كلماته.

إنه الله: أحق من ذُكر، وأحق من عُبد، وأنصر من اُبتغي، وأرأف من ملك وأجود من سُئل، وأكرم من قصد، وأعدل من انتقم، حلمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن عزته، ومنعه عن حكمته،

وموالاته عن إحسانه ورحمته. هو الملك لا شريك له، والفرد الذي لا ند له، والغني فلا ظهير له، والصمد فلا ولد له، والعلي فلا شبيه له، كل شيء هالك إلا وجهه وكل مُلك زائل إلا ملكه، وكل ظل قالص إلا ظله، وكل فضل منقطع إلا فضله، لن يطاع إلا بإذنه ورحمته، ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته، يطاع فيشكر، ويُعصى فيتجاوز ويغفر، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، القلوب له مفضية، والسر عنده علانية، والغيب لديه شهادة، خذ بالنواصي، وسجل الآثار، وكتب الآجال« إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ »سورة يس «٨٢»].

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها: يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، يفرّج الكربات، ويقيل العثرات، يهدي خلقه في ظلمات البر والبحر، ويرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته.

سبحان الملك الحق

وهو الملك: ذو السلطان الكامل والمُلك الشامل، مالك العالم كله، علويه وسفليه، لا يتحرك متحرك إلا بعلمه وإرادته، المتصرف بخلقه كما يشاء من غير ممانع ولا مدافع، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، له الملك المطلق، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. يغني فقيراً، ويفقر غنياً، ويضع شريفاً، ويرفع وضيعاً، ويوجد معدوماً، ويعدم موجوداً، يقلب الليل والنهار بالرخاء والشدة، والأمن والمخافة، كل يوم هو في شأن، ملكه ظاهر في السموات والأرض، ويَظهرُ تماماً حينما يتلاشى الملك عن كل أحد، حينما يُعرض الخلائق عليه فرادى كما خلقوا أول مرة، يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء، لمن الملك اليوم، لله الواحد القهار.

وهو الجبار: يجْبر الكسير والضعيف، ويأخذ القوي بالقهر المنيف. يقهر الجبابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته، فكل جبار وإن عظم فهو تحت قهره وجبروته، وفي يده وقبضته. إن الذين ظلموا وفتكوا ودمّروا وقتلوا، فإن الله سينتقم منهم، فهو الجبار المنتقم، يمهل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ولكن الله يصطفي من عباده من يشاء، ويتخذ منهم شهداء، ويبلو بكل ذلك العباد حتى إذا جاء اليوم الموعود كان عقابه العقاب الأليم. ألم تر أن الله جعل قرية عاليها سافلها، وأرسل حجارة من السماء، وفتح السماء بماء منهمر، وفجّر الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فليبشر المؤمنون بنصر الله. إنه الجبار يجبر الضعيف بالغنى والقوة، ويجبر الكسير بالسلامة، ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها وإحالة الفرج والطمأنينة فيها.

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

إنه الرقيب: على عباده بأعمالهم، شاهد عليهم في جميع أحوالهم، وما يغيب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، إن رقابة البشر على البشر قاصرة، البشر: يغفل، يسهو، ينام، يمرض، يموت. إذاً فلتسقط رقابة المخلوقين، وتبقى رقابة الله الكاملة المطلقة:

يا من يرتكب المعاصي مختفياً عن الناس، أين الله؟

إنك أحد اثنين: إما أنك ظننت أن الله لا يراك فقد كفرت. أو أنك تعلم أن الله يراك وتجترئ عليه، وتجعله أهون الناظرين إليك « يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا » [سورة النساء «١٠٨»]

إنه العليم: يعلم السر وأخفى، أحاط علمه بجميع المعلومات، من ماض وآت وظاهر وكامن، ومتحرك وساكن، وجليل وحقير، عَلِم بسابق علمه عدد أنفاس خلقه، حركاتهم وسكناتهم، أرزاقهم وآجالهم، من هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار« وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ » [سورة الأنعام «٥٩»]، ما من جبل إلا ويعلم ما في وعره، ولا بحر

إلا ويدري ما في قعره «وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ» [سورة فاطر «١١»].

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها: إنه يملك السمع والأبصار والأفئدة، يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، يدبر الأمر، بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، باري البريّات، وغافرُ الخطيئات، وعالمُ بالخفيّات، المطلع على الضمائر والنيات، أحاط بكل شيء علماً، ووسع كل شيء رحمة وحلماً وقهر كل مخلوق عزة وحُكماً «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا» [سورة طه «١١٠»]

لا تدركه الأبصار ولا تتوهمه الأفكار

لا تدركه الأبصار، ولا تغيّره الأعصار، ولا تتوهمه الأفكار «وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ» [سورة الرعد «٨»]. لا تسكن الأرواح إلا بحبه، ولا تطمئن القلوب إلا بذكره، ولا تزكو العقول إلا بمعرفته، ولا تحيا النفوس إلا بنسيم لطفه وقربه، ولا يدرك النجاح إلا بتوفيقه، ولا يقع أمر إلا بإذنه، ولا يهتدي ضال إلا بهدايته، ولا يفهم أحد إلا بتفهيمه، ولا يُحفظ شيء إلا بكلاءته، ولا تنال سعادة إلا بطاعته، ولا طابت الجنة إلا بسماع خطابه ورؤيته.

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها: فهو التواب الرحيم، ذو الفضل العظيم، الواسع العليم، العزيز الحكيم، السميع البصير: يسمع كل شيء ويرى كل شيء، لا يخفى عليه دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، إن جهرت بقولك سمعه، وإن أسررت به لصاحبك سمعه، وإن حدثتك به نفسك سمعه، وإن أخفيته في قلبك علمه.

إن فعلت فعلاً ظاهراً رآك، وإن فعلت فعلاً باطناً رآك، وإن تحركت بجميع بدنك رآك، وإن حركت عضواً من أعضائك رآك، وأبلغ من ذلك أنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها: فهو الرزّاق: عمّ برزقه كل شيء، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، رزق الأجنة في بطون الأمهات، ورزق الحيتان في قعار البحار، ورزق السباع في مهامه القفار، ورزق الطير في أعالي الأوكار، ورزق كل حيوان لتحصيل معاشه فأعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ولو توكلنا على الله حق توكله، لرزقنا كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً.

ومن رزق الله تعالى ما يمنّ به على من يشاء من عباده من حسن الخلق، وسماحة النفس، ولين الجانب. ومن رزق الله تعالى ما يمنّ به على من يشاء من عباده من الإيمان الصحيح والعلم النافع والعمل الصالح وهذا أعظم رزق يمنّ الله به على عبده «وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا» [الطلاق: ٢-٣].

فهو المعطي المانع: فكم من سائل أعطاه سؤله، وكم من محتاج أعطاه حاجته ودفع ضرورته، وإنه سبحانه ليستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً. وكم منع سبحانه من بلاء قد انعقدت أسبابه، فمنعه عن عباده ودفعه عنهم، فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

وهو النافع الضار: إن جاءك نفع فمن الله، وإن وقع عليك ضر لم يكشفه سواه، ولو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. فالجأ إليه عند الشدائد تجده قريباً، وافزع إليه بالدعاء تجده مجيباً، وإذا عملت سوءاً أو ظلمت نفسك فاستغفره، تجد الله غفوراً رحيماً.

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها: أعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. عالم بالخفيات، يفصل الآيات، تسبح له الأرضين ومن فيهن والسموات. رفع السموات بغير عمد، ولم يكن له كفواً أحد. شق البحار، وأجرى الأنهار «يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ»[سورة الزمر «٥»]. يرسل الرعد، ويرينا البرق، وينشئ السحاب الثقال، فسبحانه من كبير متعال.

ما أعظم شأنه وأعلى مكانه!

العزة له، والجبروت له، والعظمة له، والكبرياء له، والسلطان له، والملك له والحكم له، والقوة

له، ما أعظم شأنه، وأعلى مكانه، وأقربه من خلقه، وألطفه بعباده، أشرقت لنوره الأرض والسموات، وأنار بنور وجهه الظلمات حُجب جلاله عن العيون، ونفذت إليه أبصار القلوب، وناجته ألسنة الصدور لا تراه العيون، ولا تخالطه الأوهام والظنون، ولا تغيّره الحوادث، ولا يحيط بصفاته الواصفون. عالم بمثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار.

فسبحانه ما أعظمه، هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ »[سورة الشورى «١١»].

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها: فإذا امتلأ القلب بجلال معاني أسمائه، فستحلو الحياة، وتعذب الدنيا، وتستنير البصيرة، وتنكشف الهموم، وتهاجر الغموم. من استشعر معاني أسماء الله: أنس بالحياة، وسعد بالوجود، وتلذذ بالأيام، قلبه مطمئن، وفؤاده مستنير، وصدره منشرح، نقشت محبة الله في قلبه، وسكنت صفاته في ضميره، ومثلت أسماء الله أمام عينيه. وهذا لا يأتي بلا سبب، ولا يحصل بلا تعب، بل هو ثمرة للطاعة، ونتيجة للمحبة.

ورحمتي وسعت كل شيء

واعلم يا عبد الله بأن الله هو الغفور: يغفر الذنوب وإن عظمت، ويستر العيوب وإن كثرت، وفي الحديث القدسي: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بملء الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بمثلها مغفرة» ما أعظم جودك يا الله، الخلائق لك عاصون وأنت تكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوك، تتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا، تجود على العاصي، وتتفضل على المسيء، من ذا الذي دعاك فلم تجبه؟ ومن ذا الذي سألك فلم تعطه؟ فأنت الجواد ومنك الجود، وأنت الكريم ومنك الكرم.

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها: كان بعباده خبيراً بصيراً، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، وأنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً. هدى من الضلالة، وأنقذ من الجهالة، وأنار الأبصار، وأحيا الضمائر والأفكار. غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب. محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، جميل يحب الجمال، طيب يحب كل طيب، تواب يحب التائبين، يستحي أن يعذب ذا شيبة شاب في الإسلام، فتكثر الذنوب، وتعظم العيوب وتقسو القلوب، فيخشى الإنسان من الخسران، ويخاف الحرمان، فيناديه « قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا » [سورة الزمر «٥٣»].

إنه الغفور الرحيم، التواب الكريم، ينادي عبده نداء المتلطف، ويدعوه دعاء المشفق عليه: «يا عبدي: وعزتي وجلالي لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني لغفرت لك ولا أبالي».

من تقرب إليه شبراً تقرب إليه ذراعاً، ومن تقرب إليه ذراعاً تقرب إليه باعاً، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة. يحب التوابين، ويحب المتطهرين، بل يفرح بتوبة عبده إليه أعظم من فرحة إنسان كان بأرض فلاة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فانفلتت منه، فأيس منها فجلس إلى جذع شجرة ينتظر الموت، فأخذته إغفاءة ثم أفاق فإذا بها واقفة عند رأسه وعليها طعامه وشرابه فقام إليها وأمسك بزمامها، ثم صاح من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح. فسبحانك ما أرحمك وسبحانك ما أكرمك.

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها: فهو الرحمن الرحيم: أرحم بعباده من الوالدة بولدها، فما من نعمة وجدت إلا من رحمته، وما من نقمة دفعت إلا من آثار رحمته، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، كتب على نفسه الرحمة، غلبت رحمته غضبه، ووسعت رحمته كل شيء، فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها، إن الله يحي الموتى وهو على كل شيء قدير. معاشنا من آثار رحمته، صحتنا من رحمته، أموالنا من رحمته، أولادنا من رحمته، الليل والنهار من رحمته،

المطر والنبات من رحمته، إرسال الرسل من رحمته، إنزال الكتب من رحمته «وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ» [سورة النحل «١٨»]، «مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» [سورة فاطر«٢»].

إن رحمة الله، لو فتحها سبحانه لأحد من خلقه، فسيجدها في كل شيء، وفي كل موضع، وفي كل حال، وفي كل مكان، وفي كل زمان، فإنه لا ممسك لها، يجدها في نفسه وفي مشاعره، ويجدها فيما حوله، وحيثما كان.

إن الإنسان يواجه أصعب الأمور برحمة الله فإذا هي هوادة ويسر، ويواجه أيسر الأمور وقد تخلت رحمة الله فإذا هي مشقة وعسر، ويخوض المخاوف والأخطار برحمة الله، فإذا هي أمن وسلام، ويعبرها بدون رحمة الله، فإذا هي مهلكة وبوار.

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها

إنه لا ضيق مع رحمة الله، إنما الضيق في إمساكها دون سواه، لا ضيق مع رحمة الله ولو كان صاحبها في غياهب السجون أو في جحيم العذاب أو في شعاب الهلاك، ولا سعة مع إمساك رحمة الله، ولو تقلب الإنسان في أعطاف النعيم وفي مراتع الرخاء. إن هذا الباب لو فتح لك يا عبد الله، وهو باب رحمة الله، فلا عليك ولو أغلقت أمامك جميع الأبواب، وأقفلت جميع النوافذ، وسدت جميع المسالك، إنه هو الفرج والفسحة واليسر والرخاء. ولو أغلق عنك هذا الباب، باب الرحمة ولو فتح لك جميع الأبواب والنوافذ والمسالك، فما هو بنافع، وهو الضيق والكرب والشدة والقلق والعناء.

هذا الفيض من رحمة الله، يفتح عليك، ثم يضيق الرزق ويضيق المسكن ويضيق العيش وتخشن الحياة فلا عليك، فهو الرخاء والراحة والطمأنينة والسعادة، وهذا الفيض يمسك عنك، ثم يفيض الرزق ويقبل كل شيء فلا جدوى وإنما هو الضنك والحرج والشقاوة والبلاء.

ويمنح الله الولد، ويكون معه الرحمة، فإذا هي زينة الحياة الدنيا، ومصدر فرح واستمتاع، ومضاعفة للأجر في الآخرة، بالخلف الصالح الذي يذكر الله، ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء ونكد وشقاء «مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» [سورة فاطر «٢»].

ويعطي الله السلطان والجاه والملك، مع رحمته فإذا هي أداة إصلاح ومصدر أمن، ووسيلة لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر، ويمسك -جل وتعالى- رحمته عن هذا السلطان والملك، فإذا به مصدر قلق على فواتها، ومصدر طغيان وبغي عند بقائها، ومثار حقد على صاحبها، لا يقر له معها قرار، ولا يستمتع بجاه ولا سلطان، ويدخر بسببه للآخرة، رصيداً ضخماً من النار.

إن من رحمة الله أن تحس برحمة الله، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها. إنه الرحمن الرحيم، إن رحمة الله لا تعز على طالب في أي مكان وفي أي حال، وجدها إبراهيم -عليه السلام- في النار، ووجدها يوسف -عليه السلام- في الجب كما وجدها في السجن، ووجدها يونس -عليه السلام- في بطن الحوت في ظلمات ثلاث، ووجدها موسى -عليه السلام- في اليم وهو طفل رضيع مجرد من كل قوة ومن كل حراسة، ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور فقال بعضهم لبعض «فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا» [سورة الكهف «١٦»] ووجدها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصاحبه في الغار والقوم يتعقبونهم «لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا» [سورة التوبة «٤٠»]، ووجدها أحمد بن حنبل وهو يجلد ويضرب، ووجدها شيخ الإسلام ابن تيمية عندما أدخل السجن فالتفت إليهم وقال: «فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ» [سورة الحديد «١٣»].

إن ما بين الناس ورحمة الله إلا أن يطلبوها مباشرة منه، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها.

اللهم إنا مذنبون فاغفر لنا، ومقصرون فاعف عنا، ومخطئون فسامحنا.

اشترك الآن بمجلة البيان بالقاهرة مجاناً

البيان

إسلامية
شهرية
عالمية

12 ش رفاعة روكسي
24549557 - 24557677
01001537299

ثلاث خطوات ويفعل اشتراكك

1 ادفع حوالة بريدية باقرب مكتب بريد (البوستة) فقط 100 ج علي رقم 0103112000180818

2 إتصل بالارقام المبينة واخبره برقم العملية و بيانات المرسل اليه

3 سترسل لك الهدايا الفورية على نفس العنوان ، وتابع التواصل

هدايا المشتركين أكثر من 200جنيهاً

- 35 ج ◄ تفسير السعدي بيروت
- 50 ج ◄ موسوعة البيان العملاقة
- 25 ج ◄ كارت الخصم 20%
- 35 ج ◄ ثلاث كتب مع الاعداد
- 95 ج ◄ 12 عدد مجلة بالبريد



01019121925 sms